سبیل السلام

فی حکم آباء سید الانام

SÜLE

Süleymaniye U. Kütüphanesi
Kısmı Nafiz Paşa
Yeni Kayıt
Eski Kayıt 789

باسمك البدأ وانت الاول * وبحمدك الختم وعليك المعول * وبعد
كامل الصلاة مع التسليمات * على نبينا المبرأ من وصمة الشرك
آباؤه والامهات * وعلى آله واصحابه * وتابعيه وكل متمسك
بكتابه * قد ورد من المدينة المشرفة الى دار السلطنة كتاب *
فتصفحته متأملا فاذا هو افيح كالبحر العباب * مشحون
بالتحقيق * مملوء بالتدقيق * صار لشمل المتفرقات * ما ترك
فى مهمهة مسئلته شيئا مضى وفات * ومن العجب نظم الجواهر
فى اللآلى * فان هذا لا يقدر عليه الا من له فى العلم مقام عالى *
ولا غرابة فان هذا المؤلف اخذ العلم عن اربابه * ودأب
فى التحصيل حتى وصل الى مقام التحقيق من بابه * لان شيخه
خاتمة المحققين * وفذلكة المدققين * ادام الله النفع به للمسلمين
ولا زال مربيا للطالبين الراغبين * فلله در هذا المرتب * حيث
مع هذا العشق اعرب واعجب * وضم النظير الى النظير فانتج
وانجب * ونبينا صلى الله عليه وسلم بما اجاب به هذا الحبر لا شك
انه يسر ويرضى * وان كان يكفى فى هذه الواقعة ولسوف
يعطيك ربك فترضى * اقام الله هذا الجامع للتحقيقات
يديها * وللتدقيقات يبرزها لعاشقها ومعانيها * ولا برح
الزمان مفتخرا بوجوده * والناس شاكرين لحسن صنعه وجوده *
جعل الله سعيه مشكورا * وذنبى وذنبه وذنب المسلمين مغفورا *
قاله بلسانه ورقمه ببنانه * قارئ البخارى فى السراية الهمايونيه *
ادامها الله فى كل بكرة وعشيه *

الفقير الحاج حسن علوى زاده ختم الله
له بالحسنى ومن الخيرات
زاده

الحمد لله رب العالمين والصلوة على خير البرية محمد الطاهر الآباء
والامهات قرنا فقرنا الى ان يصلوا الى آدم عليه السلام
وعلى اله واصحابه الطيبين الطاهرين وبعد فيقول العبد الفقير

اليه عز شانه لما طالعت هذا الكتاب الجليل الجميل وجدته
على طبق ما يجب اعتقاده فى حق ابوى رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وكرم

انا الفقير اليه عز شانه عن اعضاء
مجلس تدقيقات شرعية
السيد خليل

الحمد لواهب العطيه * والصلوة على خير البريه * وعلى اله واصحابه
ذوى النفوس الزكيه * وبعد فيقول العبد المفتقر الى الطاف ربه
الوهاب * لما طالعت هذا الكتاب * الفيته موافقا للسنة والكتاب
ولله در جامعه حيث اعلن الحق وابرز الصواب

انا الفقير وكيل درس مشيخة
اسلامية فلبه لى
السيد خليل

بسم الله الرحمن الرحيم

احمدك يا من تقدست ذاته عن الشبيه والنظير * واشكرك يا من تجلى
لعباده البصير * صل على المقدس اصوله وفروعه عن وصمة ضد
الايمان * وعلى آله واصحابه الذين اذعنوا بزكية اصله وطهارة
فرعه عن نقيصة الخذلان * وبعد فلما عرض على هذا التأليف *
والمجمع النفيس الظريف * الذى ضمن ما يلزم ويجب على كل من اتبع
منهج مفخر الرسل الكرام * وسنن سيد الانبياء العظام * ان يذب لسانه
فى والدى نبينا نبى الانبياء وان يطهر نسبه العالى بالقلب الصافى
وان نسب هذا الى الشيعة الفخر الرازى احسب ان ما سلك اليه
المؤلف اللبيب * من احسن ما يتوسل به الى تعظيم الحبيب * وعندى
انه كذلك بلا ارتياب * كما لا يخفى على اولى الالباب * فلله در الفاضل *
المؤلف الكامل * حيث لم يكن عاملا بقوله تعالى والذين يؤذون الله
ورسوله بعامل * ولقد انشد الفاضل الخفاجى فى ابويه صلى الله

تعالى عليه وسلم فاجاد حتما * وانا ادين به قطعا

لوالدى طه مقام على * فى جنة الخلد ودار الثواب
فقطرة من فضلات له * فى الجوف تنجى من اليم العذاب
وكيف ارحام له قد غدت * حاملة تصلى بنار العقاب

وانا الخادم للدين والدولة المستمد
من فيضه الخفى والجلى المتشرف بتعليم
دولتلو شهزاده يوسف عزالدين
افندى الزكى
عمر لطفى

سبل السلام فى حكم آباء سيد الانام

789

بسم الله الرحمن الرحيم

يا من الحمد منه واليه * ويا من يعول فى كل الامور عليه * سبحانك لا اله الا انت المستحق لجميع حمد الحامدين * الصمد الواحد فلا يحمد سواك الا باذنك فتبارك الله رب العالمين * ادم ديم صلواتك وتسليماتك على الجوهر الفرد المكنون * وافض فيوضات مبراتك ورحماتك على الجنس العالى والسر المصون * نبيك الاقدم * وحبيبك الاعظم * سيدنا ومولانا محمد * صاحب الشفاعة العظمى والمقام الاحمد * من عمت رسالته الملائكة والانبياء والمرسلين * وانما كانوا نوابا عنه فيما يبلغونه عن احكم الحاكمين * فجميع الشرائع التى جاؤا بها شريعة سيد الاولين والآخرين

* وكل آى اتى الرسل الكرام بها *
* فانما اتصلت من نوره بهم *
* فانه شمس فضل هم كواكبها *
* يظهرن انوارها للناس فى الظلم *
* وكلهم من رسول الله ملتمس *
* غرفا من البحر اورشفا من الديم *

* وواقفون لديه عند حدهم *
* من نقطة العلم اومن شكلة الحكم *

فلذا اخذ الله الميثاق عليهم ان جاءهم ليؤمنن به وليكونوا له من الناصرين * فلو ادركوه لوسعهم الا ذلك وكانوا له من التابعين * وقد كان صلى الله عليه وسلم نبيا وآدم بين الماء والطين * بل لاجله ابرز هذا العالم فلولاه لم يكن والله غنى عن العالمين

* نبى خص بالتقديم قدما * وآدم بعد فى طين وماء *
* فلولاه لما كانت شموس * ولا فلك ولا بدر السماء *

فمن نوره خلق الله الاشياء علويها وسفليها فتبارك الله احسن الخالقين * فسرى سره فى سائر الموجودات رحمة من ارحم الراحمين * وبه تاب الله على ابيه آدم عليه السلام * وبه ساد شيث على اخوته وبورك له فى ولده وعاش الفا ونيفا من الاعوام * وبه حفظ الله اباه ابراهيم من النار ونجاه من القوم اللئام * وبه فدى ابوه اسمعيل بذبح عظيم من دار السلام * وبه نصر نوح على قومه * وببركته رد الله الكليم الى امه * ونجاه من الغرق بعواطف لطيفة وكذلك ننجى المؤمنين * وببركته جمع يعقوب على يوسف الصديق * والهم الله ذا النون حين ترك الطريق * لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين * فمعجزاته لم تزل تترى جيلا بعد جيل * وبه اغاث الله اباه اسماعيل * بعد ان سعت امه سعيا بماء عظيم معين

* لو ابصر الشيطان طلعة نوره *
* فى وجه آدم كان اول من سجد *
* اولو رأى النمرود نور جماله *
* عبد الجليل مع الخليل وما عند *
* لكن جمال الله جل فلا يرى *
* الا بتخصيص من الله الصمد *

وقد طهر الله نسبه من الرجس تأسيسا لغراسه المكين * وجعل كل اصل من اصوله خير اهل زمانه كما ثبت عنه وهو الصادق الامين * بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا

حتى كنت من القرن الذى كنت فيه ان فى ذلك لآية للموقنين* وفى آية لقد جاءكم رسول من انفسكم بالفتح عظة وتنبيه للغافلين* صلى الله عليه وعلى آبائه واخوانه من الانبياء والمرسلين* وعلى آله وسائر اصوله الطيبين الطاهرين* وعلى اصحابه ابد الآبدين ودهر الداهرين* وعلى العلماء العاملين ومن تبعهم الى يوم الدين* (امابعد) فيقول المفتقر الى رحمة ربه ولطفه الخفى* محمد بن عمر البالى المدنى الحنفى* قدورد علينا فى سنة ثلاث وثمانين بعد المأتين والالف عدة رسائل فى شرح الفقه الاكبر مطبوعه* لكنها على الطريقة المحمدية ليست بمطبوعه* لكونها مشتملة على ماتنفر منه الطباع* وتمجه الاذهان السليمة عند الاستماع* فوضعت رسالة تكشف عن تلك المسألة القناع* وتطمئن بها القلوب وتلتذ عند ذكرها الاسماع (وسميتها سبل السلام* فى حكم آباء سيد الانام* طمعا فى مرضاة ذى الجاه العظيم* ورجاء الفوز بجنات النعيم* ورتبتها على مقدمة وستة ابواب وخاتمة المقدمة فى بعض خصائصه صلى الله عليه وسلم (الباب الاول فى انه يحرم التكلم فى احد من اصول النبى صلى الله عليه وسلم بمالايليق (الباب الثانى فى الاجوبة عما ورد فى الابوين الكريمين (الباب الثالث فى ان الوالدين الكريمين وسائر الاصول من اهل الفترة الناجين (الباب الرابع فى الذين يمتحنون يوم القيمة من اهل الفترة (الباب الخامس فى ان اصول النبى صلى الله عليه وسلم كانوا على التوحيد (الباب السادس فى ان الله تعالى احيا الابوين الكريمين حتى آمنا به صلى الله عليه وسلم (الخاتمة فى مسائل فرائد منتظمة فى سلك اربع قلائد معتمدا على مانقله الائمة الاعلام ونص عليه المحققون الجهابذة العظام كالامام السيوطى فى رسائله والامام الشعرانى فى اليواقيت والجواهر والعلامة القسطلانى فى المواهب اللدنية والعلامة الزرقانى فى شرحها وما عمده المحقق الكمال فى المسايرة والعلامة ابن ابى شريف

فى شرحها والعلامة الطحطاوى والمحقق ابن عابدين فى حاشيتيهما على الدر المختار والقاضى البيضاوى فى تفسيره والعلامتان سنان افندى والشهاب فى حاشيته والمحقق شيخنا فى رسالة علم المصطلح وحاشيتها والعلامة الدردير فى مولده والعلامة الامير فى حاشيته والعلامة عليش فى حاشيته على مولد البرزنجى والعلامة ابن زكرى فى شرحه الصلاة المشيشية والعلامة الساجقلى فى رسالته المسماة بالسرور والفرح فى حكم الابوين الكريمين ومولانا الجد العلامة المرحوم محمد افندى بالى فى مجموعته فالمعزوّ لاحد فهو لهؤلاء السادة القادة* وما حصل من الفتح الالهى نبهت عليه حسبما جرت به العادة* واياك ان تغتر بظاهر مانسب للامام الاعظم فى الفقه الاكبر ولا بمقالة شارحه هناك فانه قول غير معتبر وانى اقول ماشاء الله كان* وليس الخبر كالعيان* هذا واسأل الله تعالى ان يسلك بى سبيل الرشاد* وان يلهمنى سبل الصواب والسداد * المقدمة فى بعض خصائصه صلى الله عليه وسلم (اعلم ان بر الانبياء عليهم الصلاة والسلام من اعظم المهمات* والادب معهم سبب قوى فى نيل المثوبات* ومحبتهم فريضة على كل مسلم* ومودتهم واجبة على كل مغتنم* خصوصا من هو الفذلكة الكبرى* والفرد الجامع* والذكذكة العظمى* والنور الاول الساطع* زاكى المنبت طيب العناصر* قد كان كريما من كرام تسنم كل منهم ذروة المجد والمفاخر* وخص باشياء لم تكن لنبى قبله ومامن الله على نبى بشئ الا وقد اعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثله فهو الاب الاكبر* وحقيق بالبر من سائر الآباء واجدر* ولاشئ من المخلوقات الا وهو مرتبط به من حيث الوجود والاستمداد* وكل يقتبس من نور مصباح مشكاته على قدر القابلية والاستعداد (ففى الصحيحين عن ابى موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثل مابعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا فكانت طائفة

قوله الفذلكة هى نهاية الحساب مأخوذ من قولهم اذا اجمل حسابه فذلك كذا وكذا والذكذكة حياة القلب ذكره فى القاموس انتهى

منه

منها طيبة قبلت الماء وانبتت الكلاء والعشب الكثير وكانت منها طائفة امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا واصاب منها طائفة اخرى انما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقهه الله ونفعه بما بعثنى الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى ارسلت به الحديث وهو الواسطة فى كل نعمه والمبعوث للعالمين رحمه * فنعمتان ما خلا موجود عنهما * ولا بد لكل مكون منهما * نعمة الايجاد * ونعمة الامداد * وهو صلى الله عليه وسلم الواسطة فيهما اذ لولا اسبقية وجوده ما وجد موجود * ولولا وجود نوره فى ضمائر الكون الى ان برز لتهدمت دعائم الوجود (وروى انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام هل اصابك من هذه الرحمة شىء قال نعم كنت اخشى العاقبة ثم امنت منها بثناء الله على بقوله ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين وقوله هل اصابك من هذه الرحمة شىء اى حظ وافر مخصوص واما اصل رحمة الايجاد والامداد فشامل له ولغيره ولذلك اجابه به واقتصر على هذا لانه اسنى المطالب والاوفقد ناله من الحظوظ المخصوصة كثير (وقال سيدنا ابو العباس المرسى وغيره رضى الله عنهم جميع الانبياء خلقوا من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم هو عين الرحمة قال الله سبحانه وما ارسلناك الا رحمة للعالمين حتى للكافرين باعتبار عدم تعجيل العقوبة كما قالوا على ان الرحمة لا تنحصر فى ذلك واذا كان عين الرحمة فهو اصل الرحمات وينبوعها فلا رحمة خارجة عنه وكل مرحوم مرحوم منه وفى اسمه محمد اشارة الى ذلك فالحاء مشار بها للرحمة والميم الاولى للملك الاول وهو الدنيا والثانية للملك الثانى وهو الآخرة ووسطت حاء الرحمة بينهما اشارة الى ان الملكين يتجاذبان فيستمدان منها والدال مشار بها للدوام جاءت بعد ميم الملك الثانى اشارة الى تأبده (واخرج ابن عساكر عن ابن عمر رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثنى

رحمة مهداة بعثت برفع قوم وخفض آخرين وقال عليه الصلاة والسلام انا نبى الرحمة قال فى المشارق لانه به تيب على الناس وامنوا ورحموا وقد يكون معناه ما سماه الله به فى قوله بالمؤمنين رؤف رحيم بعطفه واحسانه لهم وقد يكون رحمة الله العالمين بشفاعته الاولى فى الموقف من شدته وتعجل حسابهم وهى الشفاعة العظمى فى فصل القضاء وهو المقام المحمود (اخرج ابو نعيم والبيهقى عن ابى هريرة رضى الله عنه رفعه المقام المحمود الشفاعة اى الموعود بها فى فصل القضاء بين اهل الموقف حين يفزعون اليه اذ يطول عليهم الوقوف بعد مجيئهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ويكون رحمة الله للمؤمنين بعلو درجاتهم بشفاعته الثانية ومنها ادخال قوم الجنة بغير حساب (روى هناد وابن منيع والديلمى بسند جيد عن ابى هريرة رضى الله عنه رفعه سألت الله الشفاعة لامتى فقال لك سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب قلت رب زدنى فحثى لى بيده مرتين عن يمينه وشماله وضرب المثل بالحثيات لان شأن المعطى الكريم اذا استزيد ان يحثى بكفيه بلا حساب وربما ناوله بلا كف وهو صلى الله عليه وسلم اول من يقرع باب الجنة فيقوم الخازن ويقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك ولا اقوم لاحد بعدك وهو كالملك عليه وقد اقامه الله تعالى فى خدمة عبده ورسوله حتى مشى وفتح له الباب (واذا قال الامام الغزالى رحمه الله تعالى ما معناه ان الله ملكه الجنة واذن له ان يقطع منها ما شاء لمن شاء (والشفاعات تبلغ حد الكثرة الى حد العشرة كما فى شرح البخارى والشفاء ومنها شفاعته لاهل المدينة مع مشاركتهم للمؤمنين فى سائر الشفاعات اذ للجوار مزية اعظم بها من منة وهذه الشفاعة مختصة بالآخرة بزيادة الدرجات على غيرهم او تعم الدنيا بان يحضر عليه الصلاة والسلام عند احتضار من يموت بالمدينة وعند لحده فى قبره كما هو مشهور عند اهل المدينة المنورة

ولاغرابة فى ذلك والله اعلم (وقال عليه الصلاة والسلام فى امته انها امة مرحومة فلها الحظ الاوفر من رحمته (وفى حديث انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انى لكم بمكان صدق فى حياتى واذا مت فقال عمر رضى الله عنه يارسول الله ماذا تصنع اذا مت قال لاازال انادى فى قبرى رب امتى رب امتى حتى ينفخ فى الصور النفخة الثانية وفى الحديث دلالة على انه صلى الله عليه وسلم أمن من الصعقة عند النفخة الاولى (وفى صحيح مسلم وغيره من حديث ابى بن كعب قال صلى الله عليه وسلم ياابى ان ربى عز وجل ارسل الى ان اقرأ القران على حرف فرددت ان يهون على امتى فرد الى الثانية اقرأه على سبعة احرف ولك بكل ردة رددتها مسألة تسألها فقلت اللهم اغفر لامتى اللهم اغفر لامتى واخرت الثالثة ليوم ترغب بها الى الخلق حتى ابراهيم انتهى ومعنى الحرف فى الحديث الطريق والوجه ومنه حديث نزل القرآن على سبعة احرف ذكره فى المصباح (وعن عائشة رضى الله عنها قالت قمت ذات ليلة اطلب النبى صلى الله عليه وسلم وقد خرج من البيت فوجدته فى البقيع فيقول قائما يارب امتى وساجدا يارب امتى فقلت يارسول الله واين القرآن فقد نسيته لاجل هذه الامة فلما سمع قال لى ياعائشة اتعجبين من هذا اقول ما دمت فى الحياة يارب امتى فاذا دخلت القبر اقول يا رب امتى فاذا نفخ فى الصور اقول يا رب امتى (وفى تذكرة القرطبى رحمه الله تعالى مما يدل على ان لهذه الامة الحظ الاوفر منه صلى الله عليه وسلم قوله فاذا عصف الصراط بامتى نادوا وامحمداه وامحمداه فابادر من شدة اشفاقى عليهم وجبريل آخذ بحجزتى فانادى رافعا صوتى رب امتى رب امتى لااسالك اليوم نفسى ولافاطمة ابنتى وناهيك ان العالم كله مرحوم به بشهادة قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فقد استبان من هذا كله انه صلى الله عليه وسلم قد احسن الينا

احسانا لا يماثله احسان محسن من آبائنا واقاربنا واحبابنا وغيرهم اذهو السبب فى وجودنا وبقاء مهجنا وارواحنا وتخليدنا فى النعيم المقيم ان شاء الله تعالى (ولاشك انا عاجزون عن مكافاته صلى الله عليه وسلم (ولهذا امرنا ان نسأل الله تعالى ان يصلى ويسلم عليه نيابة عنا بفضله فى مكافاته اذ لا يكافئ احسانه الينا الا احسان خالقه تبارك وتعالى وفى هذا القدر كفاية لتنبيه المؤمنين ومعنى دقيق لايخفى على المحققين فرحم الله الابوصيرى حيث قال

* فان فضل رسول الله ليس له * حد فيعرب عنه ناطق بفم *

وفى تذكرة المحبين بعد كلام فى هذا المقام قال فاذكروا يا امة محمد عليه الصلاة والسلام رحمة نبيكم بكم ورأفته عليكم وذكره لكم قبل وجودكم وراقبوه فى آبائه الكرام واقدروا قدر اولئك السادة الفخام ولاتقولوا على الله الا الحق وما يرضيه فى اقربائه عليه الصلاة والسلام واكرم بقول صاحب الهمزية بلغه الله تعالى فى الجنان الامنية

* وبدا للوجود منك كريم * من كريم آباؤه كرماء *
* نسب تحسب العلا بحلاه * قلدته نجومها الجوزاء *
* حبذا عقد سؤدد وفخار * انت فيه اليتيمة العصماء *

وينتظم فى سلك ذلك قول العلامة ابن حجر اناله الله فى الآخرة الوطر

* نبى الهدى المختار من آل هاشم * فعن فخرهم فليقصر المتطاول *
* تنقل فى اصلاب قوم تشرفوا * به مثل ما للبدر تلك المنازل *

وقد ورد ان قريشا كانت نورا بين يدى الله تعالى قبل ان يخلق آدم بالفى عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه ثم القى ذلك النور فى صلب آدم ثم لم يزل ينقله من الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة واحفظوا لهم حرمتهم واحذروا ايذاءهم فان من آذاهم فقد آذاه ومن آذاه ملعون بنص القرآن ومن ذلك ايذاء والديه

بعد اللسان (فى الحديث الشريف لا تسبوا الاحياء بسبب الاموات (وقد ورد ان اعمال الامة تعرض عليه صلى الله عليه وسلم فى كل اسبوع (وحينئذ فلا شبهة فى انه من البهتان العظيم (وقد قال تعالى ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين حفظنا الله تعالى من اذية احد من المسلمين

﴿الباب الاول﴾ فى بيان انه يحرم التكلم فى احد من اصول النبى صلى الله عليه وسلم بما لا يليق (اخرج ابو على ابن شاذان فيما رواه المحب الطبرى والبزار فى مسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال دخل ناس من قريش على صفية بنت عبد المطلب فجعلوا يتفاخرون ويذكرون الجاهلية فقالت صفية منا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا تنبت النخلة او الشجرة فى الارض الكبا بكسر الكاف والقصر الكناسة فذكرت ذلك صفية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فغضب وامر بلالا فنادى فى الناس فقام على المنبر فقال ايها الناس من انا قالوا انت رسول الله قال انسبونى قالوا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قال فما بال اقوام يبزلون اصلى فوالله انى لافضلهم اصلا وخيرهم موضعا رواه الحافظ السيوطى فى مسالك الحنفاء رحمه الله تعالى (وفيه واخرج الحاكم عن ربيعة بن الحارث قال بلغ النبى صلى الله عليه وسلم ان قوما نالوا منه فقالوا انما مثل محمد كمثل نخلة نبتت فى كناسة فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله خلق خلقه فجعلهم فرقتين فجعلنى فى خير الفرقتين ثم جعلهم قبائل فجعلنى فى خيرهم قبيلة ثم جعلهم بيوتا فجعلنى فى خيرهم بيتا ثم قال انا خيركم قبيلة وخيركم بيتا (وفيه واخرج ابن حبيب فى تاريخه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان عدنان ومعد وربيعة ومضر وخزيمة واسد على ملة ابراهيم فلا تذكروهم الا بخير (واخرج ابن سعد فى الطبقات من مرسل عبد الله بن خالد قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر فانه كان قد اسلم (ورواه السهيلى مسندا (واخرج ابو بكر محمد بن خلف المعروف بوكيع قال اسحاق بن داود بن عيسى المروزى بسنده عن سعد بن ابى وقاص عن عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق رضى الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسبوا ربيعة ولا مضر فانهما كانا مسلمين (وقال العلامة الطحطاوى الذى ينبغى اعتقاده حفظ الوالدين الكريمين من الكفر وان الله تعالى احياهما حتى آمنا به صلى الله عليه وسلم قال ولا ينبغى ذكر هذه المسئلة الا مع مزيد الادب انتهى (ونحوه فى رد المحتار (قلت واستعمال الانبغاء فى الوجوب وعدمه فى الحرمة شائع (وسئل القاضى ابو بكر بن العربى احد ائمة المالكية عن رجل قال ان ابا النبى صلى الله عليه وسلم فى النار فاجاب من قال ذلك ملعون لقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة قال ولا اذى اعظم من ان يقال عن ابيه انه فى النار ولا يخفى على كل لغوى ان لفظ الاب يطلق على جميع الاصول قال تعالى ملة ابيكم ابراهيم الى غير ذلك (وفى شرح الموطأ للباجى رحمه الله تعالى انه يحرم ايذاء النبى صلى الله عليه وسلم ولو بفعل مباح مستدلا بقول النبى صلى الله عليه وسلم لما اراد على كرم الله وجهه ان يتزوج ابنة ابى جهل انما فاطمة بضعة منى وانى لا احرم ما احل الله ولكن والله لا تجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله عند رجل ابدا فجعل حكمها فى ذلك حكمه انه لا يجوز ان تؤذى بمباح (قال جل ذكره فاعتبروا يا اولى الابصار (واخرج ابن عساكر فى تاريخه من طريق يحيى بن عبد الملك بن ابى غنية حدثنا نوفل ابن الفرات وكان عاملا لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال كان رجل من كتاب الشام مأمونا عندهم استعمل رجلا على كورة الشام وكان ابوه يزن بالمنانية فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال ما حملك على ان تستعمل على كورة من كور المسلمين من كان ابوه

قوله على كورة الى آخره الكورة بضم الكاف المدينة وقول يزن اى يرمى ويتهم قال حسان رضى الله عنه حصان رزان ما تزن بريبة وقوله بالمانية لم اجده هكذا فى القاموس والذى فيه المنان بميمين الاولى مضمومة والثانية مكسورة الليل والنهار فكأن الرجل كان ابوه دهريا ولا يخفى مناسبته للمقام وعليه فتكون احدى الميمين سقطت من قلم الناسخ والله اعلم انتهى منه

يزن بالمثانية فقال اصلح الله امير المؤمنين وما على من كان ابوه كان ابو النبي صلى الله عليه وسلم مشركا فقال عمر آه ثم سكت ثم رفع رأسه فقال أ أقطع لسانه أ أقطع يده ورجله أ أضرب عنقه ثم قال لا تلي شيأ ما بقيت وسئل الامام شرف الدين المناوي نفعنا الله به عن والدي النبي صلى الله عليه وسلم فزجر السائل زجرة شديدة قاله في مسالك الحنفاء (وقال شيخ الاسلام نجم الدين الغيطي في مولده الشريف وعلى كل حال فالحذر الحذر من ذكر الوالدين الكريمين بما فيه نقص فان ذلك يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم لاتؤذوا الاحياء بسب الاموات ولا ريب ان اذاه صلى الله عليه وسلم كفر يقتل فاعله ان لم يتب منه انتهى (وقال الامام موفق الدين بن قدامة الحنبلي في المقنع من قذف ام النبي صلى الله عليه وسلم قتل مسلما كان او كافرا (وفي حديث مسلم لاتسبوا الاحياء بسب الاموات فيحرم جزما أن يقال ان ابوى النبي صلى الله عليه وسلم في النار (وقال السهيلي رحمه الله تعالى في الروض بعد ايراد حديث مسلم وليس لنا ان نقول ذلك في ابويه صلى الله عليه وسلم لقوله لاتؤذوا الاحياء بسب الاموات (وقال تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله الآية (وفي الجوهرة الثمينة للشيخ حسنين المالكي رحمه الله تعالى عن النبي صلى الله عليه وسلم من آذى شعرة مني فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى (وحينئذ فمن سب احدا من ابويه الكريمين فقد آذاه صلى الله عليه وسلم بلا مين ومن آذاه كان ملعونا كما نطق به القرآن العظيم انتهى (وقال البيهقي في شعب الايمان اخبرنا ابو الحسن بن بشر حدثنا ابو جعفر الرزاز حدثنا يحيى بن جعفر حدثنا زيد بن الحباب حدثنا يسن بن معاذ حدثنا عبد الله بن فريد عن طلق بن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لوادركت والدي او احدهما

وانا في صلاة العشاء وقد قرأت فيها بفاتحة الكتاب تنادي يا محمد لاجبتها لبيك هكذا وجدته في مسالك الحنفاء بالنسخة التي بيدي فيحتمل انه تحريف من الناسخ وان الاصل ينادي لاجبته بالتحتية وضمير المفرد المذكر عائد الى الاحد ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم خص الام بالذكر اظهارا لمزيتها على الاب كقوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه احسانا ثم بين مزية الام على الاب بقوله حملته امه وهنا الآية فانظر الى عظيم بره صلى الله عليه وسلم بوالديه (وفيه اشارة الى ايمانهما اذ لو كانا على الامر المكروه لما قال عليه الصلاة والسلام ذلك (ويؤيده قول سيدي عبد الوهاب الشعراني معزيا لسيدي الشيخ محيي الدين قدس سرهما اعلم انه ينبغي لكل مؤمن بر اجداده وآبائه المسلمين من آدم الى ابيه الاقرب قال ولقد اعتمرت مرة عن ابينا آدم عليه الصلاة والسلام وامرت اصحابي بذلك فوجدنا ابواب سماء الدنيا التي فيها آدم عليه السلام قد فتحت تلك الليلة وعرجت ملائكة لايحصي عددهم الا الله تعالى ونزلت ملائكة كذلك وتلقونا بالترحيب والتسهيل الى ان بهتنا منهم وذهلنا من كثرتهم لاجل صلة ابينا آدم عليه السلام تلك الليلة وذلك لان رحم آدم عليه السلام مقطوعة عند اكثر الناس قال ولقد الهمني الله صلتها فوصلتها ووصلت بسببي ايضا وكان ذلك عن توفيق الهي لم ار لاحد في ذلك قدما امشي عليه وما قال الحق تعالى في غير موضع من القرآن يابني آدم يابني آدم الا ليذكرنا تعالى بابينا عليه الصلاة والسلام لفضله ومع هذا فلم يتنبه لهذه الابوة ولا للوفاء بحقها وما اشبه هذه الذكرى من الله تعالى بقوله لمريم عليها السلام يا اخت هرون واين زمن هرون من مريم انتهى (اقول لايخفى ان هذا الامر ليس بكثير على ذلك العالم بالله تعالى الكبير فانه قد من الله تعالى بذلك على من هوادني منه علما وعرفانا ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء كيف وقد اثنى عليه اعيان علماء الشريعة واهل

اللغة كالامام الفيروز ابادى رحمه الله تعالى (فيا ايها الناصح لنفسه اياك والخوض فى هذا المقام فان مسالكه مزال الاقدام فان ابت نفسك مما سيتلى عليك من النصوص القاطعة الساطعة الناصعة اللامعة الجامعة فالزمها مع سلامة القلب جادة الصمت فان العلماء رحمهم الله تعالى عدوه من حسن الادب والهدى والسمت والحذر الحذر من الكلام بما فيه نقص فانه يوءذى النبى صلى الله عليه وسلم والعرف جار بانه اذا ذكر ابو الشخص بما ينقصه ولو كان وصفا قائما به تأذى ولده بذكر ذلك كيف وقد روى ابن منده وغيره عن ابى هريرة رضى الله عنه قال جاءت سبيعة بنت ابى لهب الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان الناس يقولون انت بنت حطب النار فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغضب فقال مابال اقوام يوءذوننى فى قرابتى ومن آذانى فقد آذى الله انتهى (فلا ريب ان انتقاصه عليه الصلاة والسلام كفر يقتل فاعله كفرا اوحدا على اختلاف المذاهب (وبالجملة فلا ينبغى ذكر هذه المسئلة الامع حسن الاعتقاد ومزيد الادب وليست من المسائل التى يضر جهلها او يسأل عنها فى القبر اوفى الموقف (واما ان ذكرت مع سوء ادب اوفساد اعتقاد فلا شبهة فى حصول الضرر حفظنا الله تعالى بمنه وفضله (وفى الحديث الشريف خصلتان ليس فوقهما من الخير شىء حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله وخصلتان ليس فوقهما من الشر شىء سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله وقال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (فان قلت حسن الظن اوضده وصف قلبى لادخل له فى العمل (قلت بل له دخل عظيم فى العمل بل عمل القلب اقوى الاعمال لان الايمان الذى هو اساس كل عمل محله القلب ولان عمل القلب لايدخله الرياء والسمعة ولان اعمال الجوارح صور لاعمال القلوب فلولا ان له وجودا نفسيا معتدا به لما قال تعالى وان تبدوا ما فى انفسكم

او تخفوه يحاسبكم به الله ولما قال الشاعر

* ان الكلام لفى الفوءاد وانما * جعل اللسان على الفوءاد دليلا *

(فظهر ان اعمال الجوارح منوطة ومرتبة على اعمال القلوب (وبينهما تلازم كلى من جهة انه لايأتى فى الوجود الخارجى عمل اختيارى الا بسبق عمل نفسى والله اعلم

الباب الثانى

فى بيان الاجوبة عما ورد فى حقهما (قد تقرر انه يحرم قطعا ان يقال ان الابوين الشريفين فى النار (وتحرر ان هذا القول يفضى الى الطرد عن رحمة الله تعالى (فما ورد من الاحاديث فى ذلك وهى حديث انه صلى الله عليه وسلم قال ليت شعرى ما فعل ابواى فنزلت ولا تسأل ٤ عن اصحاب الجحيم وحديث انه استغفر لامه فضرب جبريل فى صدره وقال لاتستغفر لمن مات مشركا وحديث انه نزل فيهما ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين وحديث انه قال لابنى مليكة امكما فى النار فشق عليهما فدعاهما فقال ان امى مع امكما وحديث انه استأذن فى الاستغفار لامه فلم يوءذن له وحديث ابى وابوك فى النار (فللعلماء فى ترك اعتماده مجال كبير فذهب جماعة الى انها كلها منسوخة كما اجابوا بذلك عن الاحاديث الواردة فى اطفال المشركين انهم فى النار (وقالوا الناسخ لاحاديث اطفال المشركين قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى (ولاحاديث الابوين قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (افاده فى مسالك الحنفاء (وقد اشار الى رجحانه الامام الفخر الرازى رحمه الله تعالى كما ستعرفه (وجزم به الحافظ السيوطى شكر الله سعيه فى المقامة السندسية حيث قال قد وقفت عليها باسرها وبالغت فى جمعها وحصرها فاكثرها مابين ضعيف ومعلول والصحيح منها منسوخ بما ورد من النقول (وقال فى الرسالتين المذكورتين فانظر الى هذه الاسرار المودعة فى نظم القرآن والمناسبات المبتدعة فى ترتيب الفرقان من كون

٤ قوله ولا تسأل الآية بصيغة النهى على قراءة نافع و يعقوب كما فى البيضاوى انتهى
منه

الجملين فى الفريقين مقترنتين فى آية واحدة متعا طفتين متناسقتين فى النظم البليغ (قال ولم يصح فى ام النبى صلى الله عليه وسلم سوى حديث انه استأذن فى الاستغفار لها فلم يؤذن له ولم يصح فى ابيه الاحديث مسلم خاصة على ماسيأتى فيه انتهى (قوله والصحيح منها منسوخ النسخ فى اللغة الازالة وفى الشرع بيان انتهاء الحكم السابق فهو مختص بالاحكام الشرعية المكلف بها (وحينئذ لا يظهر هذا الكلام (وقد يقال ان النص يكون لافادة العمل والاعتقاد والاعتقاد ارجح فى المقصود من النص فمن ترك الصلاة لا يكفر ومن جحدها يكفر (وقد فرضت الصلاة ليلا وابتداؤها من الظهر فالاعتقاد سبق العمل (هذا كله فى علم الاصول ولكن القول بمثله ههنا بعيد وكذلك الحمل على النسخ اللغوى خفى فالاولى ان يقال ان ما على من هذه الاخبار فى حيز الضعف والضعيف كله انما يجوز العمل به بشروط ذكرت فى الدر المختار وحواشيه فى آداب الوضوء وماظن صحته من هذه الاخبار فالآية الكريمة وامثالها تكفى فى ضعفه (وبتقرير آخر اذا تعارض نصان واحدهما اقوى فالاخذ بالاقوى منهما (وبالجملة فاحاديث هذا الباب الموردة فيما لا يليق ساقطة الاعتبار كما حققه شيخنا السيد يوسف الغزى حفظه الله تعالى (فان قلت الاستدلال على النسخ بالآية المذكورة ونحوها انما يأتى على مذهب الاشاعرة لا على مذهب الماتريدية (قلت ستعرف الجواب عنه فى الباب الثالث ان شاء الله تعالى (ومما يقوى ما اوردناه كما ستقف عليه ما فى مسالك الحنفاء من رواية الحاكم وصححه عن ابن مسعود رضى الله عنه حين سئل صلى الله عليه وسلم عن ابويه فقال ما سألتهما ٣ ربى فيعطينى فيهما وانى لقائم يومئذ المقام المحمود (فهذا الحديث ذكره جمع من الحفاظ واقروه بل استدلوا به على نجاة الابوين الكريمين كالامام السهيلى والامام السيوطى والامام الشعرانى رحمهم الله تعالى (وقد تقرر

٣ لعله ما سألت ربى فيهما فيعطينى كما يظهر من كلامه من الآتى

فى علم المصطلح ان الحديث الصحيح اذا عارضه دليل آخر هو ارجح منه وجب تقديم ذلك الدليل كما افاده استاذنا العلامة المحقق السيد يوسف الغزى فى حاشية رسالته فى علم المصطلح حفظه الله تعالى بان العلم بتأخر احدهما من المرجحات ويسمى المتأخر بالناسخ وهو المعمول به ويسمى المتقدم بالمنسوخ فان لم يدر عين المتقدم من عين المتأخر فالعمل على ارجحهما متنا او سندا بكثرة الرواة اوقوة صفاتهم التى لها دخل فى الرجحان فان لم يوجد مرجح وجب التوقف حتى يظهر مرجح انتهى (ودليل المتأخر هنا اظهر من الشمس فى رابعة النهار كيف والحديث صريح فى انه صلى الله عليه وسلم يعطيه ربه ما سأله فى والديه عند قيامه المقام المحمود يوم ينجزله الرب الجليل ما وعده به ويخاطبه بقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع (وسيأتى مزيد توضيح لهذا الحديث ان شاء الله تعالى (ثم بعد حين رأيت مؤيدا مستفادا من كلام الحافظ السيوطى وهو ان قوله عليه الصلاة والسلام لابنى مليكة امى مع امكما كان قبل ان يسأل ربه فيهما (فهذا صريح فى التأخر والحمد لله ذكره فى شرح المواهب (ويرشح ما قلناه ما فى مسالك الحنفاء من رواية تمام فى فوائده من حديث ابن عمر رضى الله عنهما اذا كان يوم القيمة شفعت لابى وامى وعمى واخ لى كان فى الجاهلية (والمراد بالاخ ابن حليمة السعدية رضى الله عنها فانه اخو النبى صلى الله عليه وسلم من الرضاع انتهى فلم يكن له صلى الله عليه وسلم اخ من النسب كما انه لم يكن لامه رضى الله عنها اخ من النسب حتى يكون خالا للنبى صلى الله عليه وسلم (وقول بنى زهرة نحن اخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان امه الكريمة منهم وهو المراد من كلام الجوهرى ان بنى زهرة اخواله صلى الله عليه وسلم (وقد نص العلامة الشبراملسى ان اضافة الاخوال اليه صلى الله عليه وسلم مجازية فما فى المواهب محمول عليها كما افاده فى الجواهر الثمينة

للشيخ حسنين المالكى رحمه الله تعالى (وقال سبط الجوزى رحمه الله تعالى اجمع العلماء على ان آمنة لم تحمل بغيره صلى الله عليه وسلم يعنى فلم يشركه فى ولادته صلى الله عليه وسلم من ابويه اخ ولا اخت لانتهاء صفوتهما اليه وقصور نسبهما عليه ليكون مختصا بنسب جعله الله تعالى للنبوة غاية ولتمام الشرف نهاية انتهى من شرح المواهب للعلامة الزرقانى رحمه الله تعالى (فان قلت بين لنا ما وعدت به آنفا من الكلام على حديث مسلم رحمه الله تعالى (قلت قال امام السنة الجلال السيوطى عطر الله مضجعه قوله ان ابى واباك فى النار بهذا اللفظ لم يتفق عليه الرواة وانما ذكره حماد بن سلمة عن ثابت عن انس وهى الطريق التى رواه مسلم منها وقد خالفه معمر عن ثابت فلم يذكر ان ابى واباك فى النار ولكن قال قال صلى الله عليه وسلم للسائل حين قال له يارسول الله اين ابى قال فى النار فلما اقفا دعاه وقال له اذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار فهذا اللفظ لا دلالة فيه على والده الكريم صلى الله عليه وسلم بامر البتة (وهو اثبت من حيث الرواية فان معمرا اثبت من حماد لانه تكلم فى حفظه (ووقع فى احاديثه مناكير ذكروا ان ربيبه دسها فى كتبه بل كان لا يحفظ (ومن ثم لم يخرج له البخارى شيئا وما خرج له مسلم فى الاصول الا من روايته عن ثابت (قال الحاكم فى المدخل ما خرج مسلم لحماد فى الاصول الا من حديثه عن ثابت (وقد خرج له فى الشواهد عن طائفة واما معمر فلم يتكلم فى حفظه ولا استنكر شئ من حديثه واتفق على التخريج له الشيخان فكان لفظه اثبت (قال ثم وجدنا الحديث ورد من حديث سعد بن ابى وقاص بمثل لفظ رواية معمر عن ثابت عن انس (واخرج البزار والطبرانى والبيهقى من طريق ابراهيم بن سعد عن الزهرى عن عامر ابن سعد عن ابيه ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اين ابى قال فى النار قال فاين ابوك قال حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار (وهذا اسناد على شرط الشيخين فتعين الاعتماد على هذا اللفظ

وتعين تقديمه على غيره (وقد زاد الطبرانى والبيهقى فى اخره قال فاسلم الاعرابى بعد فقال لقد كلفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعبا ما مررت بقبر كافر الا بشرته بالنار (وقد اخرج ابن ماجه من طريق ابراهيم بن سعد عن الزهرى عن سالم عن ابيه قال جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان ابى كان يصل الرحم وكان وكان فاين هو قال فى النار قال فكأنه وجد من ذلك فقال يارسول الله فاين ابوك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار قال فاسلم الاعرابى بعد فقال لقد كلفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعبا ما مررت بقبر كافر الا بشرته بالنار فهذه الزيادة اوضحت بلا شك ان هذا اللفظ هو الذى صدر منه صلى الله عليه وسلم ورآه الاعرابى بعد اسلامه امرا مقتضيا للامتثال فلم يسعه الا امتثاله (ولو كان الجواب باللفظ الاول لم يكن فيه امر بشئ البتة (فعلم ان اللفظ الاول من تصرف الراوى رواه بالمعنى على حسب فهمه (وقد وقع فى الصحيحين روايات كثيرة من هذا النمط فيها لفظ تصرف فيه الراوى وغيره اثبت انتهى (قلت ونظير ما تقدم من الكلام على حديث مسلم الى هنا مذكور فى شرح المواهب غير انه زاد قوله فتبين ان السائل اعرابى وهو مظنة خشية الفتنة والردة (والمصطفى صلى الله عليه وسلم كان اذا سأله اعرابى وخاف من افصاح الجواب له ان يفتتن اجابه بجواب فيه تورية وايهام اصطلاحى (وهذا كذلك اذ لم يصرح فيه بالاب الكريم انما قال حيثما مررت الخ (وهذه جملة لا تدل على ذلك فكره صلى الله عليه وسلم ان يفصح له بحقيقة الحال ومخالفة ابيه لابيه فى المحل الذى هو فيه خشية ارتداده لما جبلت عليه النفوس من كراهة الاستئثار عليها ولما كانت عليه العرب من الجفاء وغلظ القلوب فاورد له جوابا موهما ايهاما بديعا تطمينا لقلبه انتهى (قلت ومثل هذا فى الجواب بغير

المسؤل عنه لنكتة من مقاصد البلغاء قال تعالى يسألونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج والمسؤل عنه سبب زيادة الهلال ونقصه تدريجا ولكن هذا دقيق على افهام العرب فكانه قيل الذى يتيسر لكم و ينفعكم هو هذا دون ماسألتم عنه (وقال تعالى يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل الى غير ذلك مما لا يستقصى (افاده شيخنا ثم قال فى شرح المواهب ان الحديث الذى رواه حماد تصرف فيه الرواة وان هذه الطريقة التى هى طريقة معمر فى غاية الاتقان ولذا قال بعض الحفاظ اولم نكتب الحديث من ستين وجها ماعقلناه انتهى (قال السيوطى ثم رأيت طريقا اخرى للحديث مثل رواية معمر وازيد وضوحا وذلك انه صرح فيه بان السائل اراد ان يسأل عن ابيه صلى الله عليه وسلم فعدل عن ذلك تجاهلا وتأدبا فقد اخرج الحاكم فى المستدرك وصححه عن لقيط بن عامر انه خرج وافدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نهيك بن عاصم بن مالك ابن المنتفق قال فقدمنا المدينة لانسلاخ رجب فصلينا معه صلاة الغداة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس خطيبا فذكر الحديث الى ان قال قال نهيك فقلت يارسول الله هل فى احد ممن مضى منا فى جاهليتنا من خير فقال رجل من عرض ٤ قريش ان اباك المنتفق فى النار فكأنه وقع حر بين جلد وجهى ولحمى مما قال لابى على رؤس الناس فهممت ان اقول وابوك يارسول الله ثم نظرت فاذا الاخرى اجمل فقلت واهلك يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم ما اتيت عليه من قبر قرشى او عامرى مشرك فقل ارسلنى اليك محمد فابشرك بما يسوؤك فهذه رواية لا اشكال فيها بل هى اوضح الروايات وابينها قال واما حديث امى مع امكما فاخرجه الحاكم وقال صحيح ولكن تعقبه الذهبى وبين وجه ضعفه وحلف عليه بالله تعالى يمينا شرعيا (واما حديث

٤ قوله من عرض قريش العرض بضم العين الجهة والناحية كما فى المصباح انتهى مد

نزول ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين فضعيف ايضا والثابت فى الصحيحين انها نزلت فى ابى طالب لقوله صلى الله عليه وسلم له لأستغفرن لك مالم انه عنك انتهى (قلت قال العلامة البيضاوى رحمه الله تعالى انه عليه الصلاة والسلام قال لابى طالب لما حضرته الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال عليه الصلاة والسلام لاازال استغفر لك مالم انه عنك فنزلت الآية انتهى (ويساعده ان الآية التى بعدها نزلت فى حق آزر وهو عم الخليل على الاصح واما ابوه فاسمه تارخ كما فى القاموس وسيأتى شرحه عن الفخر الرازى والسيوطى وغيرهما ان شاء الله تعالى ثم لايشكل ان موت ابى طالب كان قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين وسورة براءة من آخر ما نزل بالمدينة لان هذه الآية مستثناة من كون السورة مدنية فانها نزلت بمكة عقب موت ابى طالب واستغفار النبى صلى الله عليه وسلم له نقله الزرقانى معزيا للاتقان واقره انتهى (وتمام الكلام فى حق ابى طالب يأتى فى الباب الرابع ان شاء الله تعالى قال السيوطى رحمه الله تعالى واما حديث ان جبريل ضرب فى صدره الخ فان البزار اخرجه بسند فيه من لا يعرف (واما حديث ليت شعرى ٤ ما فعل ابواى فنزلت الآية وهى ولا تسأل عن اصحاب الجحيم فهو مردود من اربعة اوجه (احدها من جهة السند فانه لم يخرج فى شئ من كتب الحديث المعتمدة وانما ذكر فى بعض التفاسير بسند منقطع لا يحتج به ولا يعول عليه وقد تقرر فى علم الحديث ان سبب النزول حكمه حكم الحديث المرفوع لا يقبل منه الا الصحيح المتصل الاسناد لا ضعيف ولا مقطوع (وهذا السبب لا يعرف له فى الدنيا اسناد صحيح انتهى بقليل زيادة قلت وشرط الحديث الصحيح هو ما اشار اليه شيخنا علامة الوجود السيد يوسف الأزى حفظه الله تعالى فى منظومته فى علم المصطلح بقوله
* منها الصحيح وهو ما قد اتصل * سنده ولم يشذ ويعل *

٤ ما فعل ابواى اى ما فعل بهما على حديا با عمير ما فعل النغير اى ما فعل به ذكره شيخى زاده انتهى مد

* يرويه عدل ضابط عن مثله * معتمد فى ضبطه وعدله *

انتهى (الوجه الثانى قد صح فى ابى طالب انه اهون اهل النار عذابا لقرابته منه صلى الله عليه وسلم وبره به مع امتداد عمره وامتناعه عن طاعته وامره فلو كان والده كما زعم لكان اولى بهذه المزية من ابى طالب لان اكرامه تعالى فى والديه صلى الله عليه وسلم اسر له واقر لعينيه لكونهما اشد من ابى طالب قربا وآكد حبا واقوى برا واقصر عمرا فمعاذ الله ان يظن بهما انهما فى الجحيم هذا لا يفهمه من له ادنى ذوق سليم (الوجه الثالث من جهة البلاغة واسرار البيان كما افاده فى المسالك وذلك ان الآيات من قبل هذه الآية ومن بعدها كلها فى اليهود من قوله تعالى يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم واوفوا بعهدى اوف بعهدكم واياى فارهبون الى قوله جل ذكره واذ ابتلى ابراهيم ربه ولذا ختمت القصة بمثل ما صدرت به وهو قوله تعالى يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم الآيتين (فتبين ان المراد باصحاب الجحيم كفار اهل الكتاب وقد ورد ذلك مصرحا به فى الاثر اخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر فى تفاسيرهم عن مجاهد قال من اول البقرة اربع آيات فى نعت المؤمنين وآيتان فى نعت الكافرين وثلاث عشرة آية فى نعت المنافقين ومن اربعين آية الى عشرين ومائة فى بنى اسرائيل قال السيوطى اسناده صحيح (ومما يؤيد ذلك ان السورة مدنية واكثر ما خوطب فيها اليهود انتهى (ولذا استبعد حمله على الابوين فى التفسير الكبير ولم يصدر به فى انوار التنزيل (وقال العلامة ابو السعود رحمه الله تعالى وحمله على نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن السؤال عن حال ابويه مما لا يساعده النظم الكريم انتهى (الوجه الرابع مخالفته لاصول الاشاعرة والماتريدية الآتى ذكرها (ويرشح ما قلناه من حيث المناسبة ما ذكره فى المسالك والمقامة السندسية ان الجحيم اسم لما عظم من النار كما هو مقتضى اللغة

والآثار فقد اخرج ابن ابى حاتم عن ابى مالك احد التابعين فى قوله تعالى ولا تسأل عن اصحاب الجحيم قال الجحيم ما عظم من النار (واخرج ابن جرير وابن المنذر فى قوله تعالى لها سبعة ابواب قال اولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية قال والجحيم فيها ابو جهل انتهى فيا ايها الزاجر لنفسه المستعد للجواب عند حلوله فى رمسه اما كان لك مما تلوناه سبيل ناجح اما سمعت كلام الائمة الذين كل منهم لو وزن بالجبال فهو عليها راجح كلا والله ان الجحيم لا تليق الا بمن عظم كفره وعاند عن علم ويقين او اشتد ايذاؤه للنبى صلى الله عليه وسلم او كذبه فيما جاء به من الآيات والكتاب المبين

بيت

*جوابا به تنجو اعتمد فوربنا * لعن عمل اسلفت لا غير تسأل*

(واعلم ان جميع ما ذكر من الاجوبة مبنى على قوانين علم الحديث وهو الاصل وهناك اجوبة للعلماء من غير هذا الطريق قال (السيوطى رحمه الله تعالى فيجاب عن حديث عدم الاذن فى الاستغفار لامه انه كان صلى الله عليه وسلم فى صدر الاسلام ممنوعا عن الصلاة على من عليه دين وهو مسلم فيحتمل انها كانت عليها تبعات فمنع عن الاستغفار لها بسببها (وقال العلامة المرعشى الحنفى الشهير بساچقلى زاده بلغه الله الحسنى وزياده ان معنى الاستغفار هو طلب المغفرة للذنب وامه الكريمة لا ذنب عليها لانها لم تقم عليها الحجة وهى دعوة الرسول فلا ذنب فلا استغفار لانه حينئذ يكون لغوا متضمنا للكذب وهو لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم فلذا لم يأذن له ربه فى الاستغفار لها ونظيره الاستغفار للصبى فى انه لغو يتضمن الكذب لانه لا ذنب له فلذا لم يشرع الاستغفار فى الصلاة عليه (قال واما بكاؤه صلى الله عليه وسلم عند زيارة قبر امه الشريفة فتحسر على فراقها الا لعدم اذن ربه فى الاستغفار لها انتهى (وروى العلامة الزرقانى عن القاضى عياض تعمد هما

الله برحمته ان بكاءه عليه الصلاة والسلام عند زيارة قبر امه
ليس لتعذيبها انما هو اسف على ما فاتها من ادراك ايامه والايمان
به وقد رحم الله بكاءه فاحيا هاله حتى آمنت به (وما الطف هذه
العبارة وارشقها واعذبها فانها صريحة فى ان البكاء انما هو
لكونها لم تحز شرف الدخول فى هذه الامة لا لكونها على غير
الحنيفية انتهى وسيتضح ذلك لك ان شاء الله تعالى (واما حديث
امى مع امكما على ضعف اسناده فلا يلزم منه كونها فى النار
لجواز انه اراد بالمعية كونهما معهما فى دار البرزخ وعبر بذلك تورية
وايهاما تطييبا لقلوبهما (ويجوز انه صدر ذلك منه قبل
ان يوحى اليه انهما من اهل الجنة كما قال فى تبع لا ادرى تبعا العينا
كان ام لا كما اخرجه الحاكم وابن شاهين عن ابى هريرة رضى الله عنه
(وقال صلى الله عليه وسلم بعد ان اوحى اليه فى شانه لا تسبوا
تبعا فانه كان قد اسلم اخرجه ابن شاهين فى الناسخ والمنسوخ
عن سهل وابن عباس رضى الله عنهما فكأنه عليه الصلاة والسلام
لم يوح اليه اولا فى شأنهما بشئ ولم يبلغه ٤ القول الذى قالته

٤ قوله القول الذى قالته عند موتها يأتى ذكره ان شاء الله تعالى انتهى منه

عند موتها ولا تذكره فاطلق القول بانها مع امهما جريا على
قاعدة اهل الجاهلية ثم اوحى اليه امرها بعد انتهى من شرح
المواهب (وفى مسالك الحنفاء يجاب عن قول السائل فاين ابوك
وقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث انس ان ابى على تقدير
ثبوته بان المراد عمه ابو طالب لا ابوه عبد الله كما قال بذلك الامام
الفخر الرازى رحمه الله تعالى فى ابى ابراهيم انه عمه وهو منقول
عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج والسدى رضى الله عنهم
وكفى بهم حجة (قال تعالى ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب
الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله
ابائك ابراهيم واسماعيل واسحاق فاطلق على اسماعيل
لفظ الأب وهو عم يعقوب كما اطلق على ابراهيم وهو جده
عليهم الصلاة والسلام (واخرج ابن ابى حاتم عن ابن عباس

رضى الله عنهما انه كان يقول الجد اب واخرج ابن ابى العالية
رحمه الله تعالى فى قوله تعالى واله آبائك ابراهيم واسماعيل
قال سمى العم ابا ومما يدلك عليه ان اطلاق الأب على ابى طالب
كان شائعا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم انهم كانوا يقولون
له قل لابنك يرجع عن شتم آلهتنا وقال لهم مرة لما قالوا له اعطنا
ابنك نقتله وخذ هذا الولد مكانه اعطيكم ابنى تقتلونه وآخذ ابنكم
اكفله لكم ولما سافر الى الشام ومعه النبى صلى الله عليه وسلم نزل له بحيرى
فقال له ما هذا منك فقال هو ابنى فقال ما ينبغى لهذا الغلام
ان يكون ابوه حيا فكانت تسمية ابى طالب ابا للنبى صلى الله عليه وسلم
شائعة عندهم لكونه عمه ولكونه رباه وكفله من صغره وكان يحوطه
ويحفظه وينصره فكان مظنة السؤال عنه انتهى (اقول وكما
ان العرب تطلق لفظ الاب على العم اطلاقا شائعا وان كان مجازا
تطلق لفظ الاب على المربى كذلك فيجوز فى حديث امى مع امكما
ان يكون المراد امرأة ابى طالب فانها امر بيته من صغره
(قال العلامة السجاعى ان المربى والمربية يطلق عليهما لفظ
الأب والأم فابو طالب يسمى ابا النبى صلى الله عليه وسلم
من وجهين وزوجته تسمى اما من وجه واحد فكلاهما يصدق
عليه لفظ الابوين فاحفظ ذلك انتهى (يعنى فانه ينفعك فى كثير
من الابواب (والى هنا تم ما جالت فى ميادينه الفرسان وانفلق
نور فجر نهاره عن غسق ليله وبان (قال فى شرح المواهب وقد استراح
جماعة من أئمة المالكية من هذه الاجوبة كلها واجابوا عن
جميع تلك الاحاديث بانها اخبار آحاد لا تعارض النصوص القاطعة
انتهى (واراد بالنصوص القاطعة ما سيأتى من الآيات
الكريمة (فهذه طرق ثلاثة فى الجواب عما ورد من الامر المكروه
فى حق الابوين الجليلين فاختر لنفسك ما يحلو فان شئت ان تكتفى
بها بان كنت ذا روية بطرق الاستدلال فنعما هى وهذا سبيل
الخواص وان قلت لسنا كذلك ولكنا نقف فى ميدان الجدال

كما هو شأن غالب اهل الزمان وتتشبث بما فى صحيح مسلم على فرض
ثبوته فاقول يجيبك ايها الجدلى بمثل ما اجاب به امثالك الامام
السيوطى فلى به اسوة حسنة (فان كنت من اهل مذهبنا حنفى
المذهب اقول لك قد ثبت فى الصحيحين لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة
الكتاب وانت تصحح الصلاة بدونها وصح فى الحديث اذا
بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا وثبت فى الصحيحين انه صلى الله
عليه وسلم باع المدبر وانت لا تجيزه ولم تعتبر القلتين فكيف خالفت
هذه الاحاديث الصحيحة فان قلت قامت ادلة اخرى معارضة لها
عند الامام وترجحت فقدمت عليها قلت وهذا مثله (وان كنت مالكى
المذهب اقول لك قد صح فى الصحيحين البيعان بالخيار ما لم
يتفرقا وفى صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم مسح كل رأسه
فى الوضوء والمالكى لا يقول بخيار المجلس ويوجب مسح كل
الرأس فلم لم تعمل بما فى صحيح مسلم فان قلت قامت ادلة اخرى
معارضة لذلك عند المالكى وترجحت فقدمت قلت وهذا نظيره
(وان كنت شافعى المذهب اورد عليك ما ثبت فى صحيح مسلم
انه صلى الله عليه وسلم لم يقرأ فى الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم
وانت لا تصحح الصلاة بدونها وفى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم
قال انما جعل الامام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه فاذا ركع فاركعوا
واذا رفع فارفعوا واذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا ربنا لك الحمد
واذا صلى جالسا فصلوا اجلوسا اجمعون وانت اذا قال الامام
سمع الله لمن حمده تقول مثله واذا صلى جالسا لعذر وانت قادر
على القيام تصلى خلفه قائما لا جالسا فكيف خالفت صريح احاديث
مسلم والبخارى رحمهما الله تعالى فان قلت قامت ادلة اخرى
معارضة لهذه ورجحت فقدمت عليها قلت وما نحن فيه كذلك
(وان كان المجادل حنبلى المذهب اقول له قد ثبت فى الصحيحين
من صام يوم الشك فقد عصى ابا القاسم وثبت فيهما ايضا لا تقدموا
رمضان بصوم يوم ولا يومين والحنبلى يقول بصيام يوم الشك فلم

خالفت ما ثبت فى الصحيحين فان قلت قامت ادلة اخرى معارضة
لها ورجحت فقدمت عليها قلنا وهذا نظيره (وثم شئ آخر
يصلح خطابا لكل مجادل ذى رواية وروية وهو ما رواه مسلم
فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما ان طلاق الثلاث كان
يجعل واحدة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر
رضى الله عنه وصدر من امارة عمر رضى الله عنه فهذا سؤال
يرد على كل ذى علم فان اجاب بمقتضى هذا الحديث من انه انما يقع
طلقة واحدة فيمن قال لزوجته انت طالق ثلاثا اعرضنا عنه
وليس لنا معه كلام لمخالفته الاجماع وان اجاب بوقوع الثلاث
قلنا له كيف خالفت ما فى صحيح مسلم فان قال لما عارضه قلنا له
فاجعل هذا مثله (وبهذا تعلم انه ليس كل حديث فى صحيح مسلم
ولا غيره يقال بمقتضاه اذا وجد ما يعارضه كما لا يخفى على من له
مسكة بعلم المصطلح (وما ذكرناه انما يكون ملزما للجدلى اذا كان
لديه رائحة من العلم والله الموفق (فان قلت بقيت عقدة واحدة
وهى ما نسب الى الفقه الاكبر من قوله ووالدا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ماتا على الكفر وابو طالب عمه مات كافرا فاحلل
لنا هذه العقدة قلت مستعينا بالله تعالى هذه العبارة مشتملة
على جملتين ولكل منهما حكم مستقل عقلا ونقلا بلا مين غير انا
نقتصر على شرح العبارة الاولى لخفائها دون العبارة الثانية
لظهور معناها (فنقول قوله ماتا على الكفر الخ قال شيخ مشايخنا
العلامة الطحطاوى معزيا للعلامة ابن حجر المكى نور الله ضريحهما
معناه انهما ماتا فى زمن الكفر وليس معناه اتصافهما بالكفر انتهى
(قلت فهو على حد قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على
ملك سليمان اى فى زمن ملكه (وهذا شائع ذائع فى كلام العرب
والبلغاء فادان فى الكلام حذفا وتقديرا واستعارة تبعية فى الحرف
ولكن ينبغى ان يكون هناك مضاف آخر محذوف مستفاد من وجه
الشبه والتقدير ماتا فى زمن تمكن الكفر من الناس تأخر ذلك

الزمن جدا وبعده عن زمن عيسى عليه الصلاة والسلام بستمائة
سنة رواه العلامة الشهاب محشى البيضاوى رحمه الله تعالى
عن سلمان الفارسى رضى الله عنه (قال وفى رواية بخمسمائة
وخمسين وانما عبر بالكفر ليفيد ما قلناه وان الكفر فى ذلك الزمن
قد ملأ الارض مشارقها ومغاربها وليس على وجه الارض
اذ ذاك من يوحد الخالق سبحانه الا نفر متفرقون فى الارض وقليل
ما هم فغاية ما دلت عليه العبارة ان الوالدين الكريمين لم يدركا
بعثة النبى صلى الله عليه وسلم وانهما من اهل الفترة فصريح النص
لم يدل على حكم غير هذا ولم يفد نجاة ولا غيرها الا ان جانب النجاة
يترجح ليكون موافقا لما اجمع عليه الماتريدية والاشاعرة من ان
الوالدين الكريمين من قسم اهل الفترة الناجين بيقين كما
ستقف عليه بل الذى ينبغى ان يترجح جانب التوحيد ليكون
موافقا للاصل المروى عن الامام وهو لا عذر لعاقل فى الجهل
بخالقه فقد نص على ان الوالدين الكريمين لم يجهلا خالقهما
كما ستعرفه فى الباب الذى بعده ان شاء الله تعالى فحينئذ يحصل
التطابق بين الكلامين (وهذا هو الاليق بجلالة امام الائمة وقدوة
اعيان الامة تغمده الله برحمته واسكنه بحبوحة ٤ جنته (وهذا
القدر يكفينا فى هذا المبحث (ثم بدا لى مسلك آخر يبتنى على ما
ذكره صاحب القاموس رحمه الله تعالى من ان الكفر بفتح
الكاف تعظيم الفارسى ملكه فلم لا يجوز ان يستعمل فى التعظيم
المطلق عن القيد المذكور ثم يقيد بتعظيم الخالق تعالى مجازا
مرسلا بمرتبتين وعليه فالمعنى ووالدا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ماتا على تعظيم الله تعالى فان لفظ ال ينوب عن المضاف
اليه وبه ايضا يقع التطابق ويحصل التوفيق بين كلامى الامام
من غير افتقار الى مرجحات خارجية وبالله التوفيق (لا يقال هذه
الاحتمالات بعيدة عما يفيده جوهر اللفظ لانا نقول احتمال ان المراد
من قول الامام الامر المنكر وهو ابعد ونسبته اليه ابرد (فان

٤ قوله بحبوحة البحبوحة بضم الباء الاولى والثانية هى وسط المكان كما فى القاموس انتهى منه

قلت ربما قامت الادلة الصريحة فى ذلك عند الامام قلت سبحان الله
من هذا الكلام اترى ان غير الامام ابى حنيفة من المحدثين
والفقهاء علموا ضعيف تلك الاحاديث ومعلولها وناسخها
ومنسوخها كما مر شرحه وابا حنيفة جهل ذلك هذا غلط كبير بل
شرط الامام فى الحديث ابلغ من شرط الشيخين البخارى ومسلم
فرواية الحديث عنه اعز وصحة الحديث عنده اعوز لانه يشرط
ما شرطه غيره من المحدثين ويزيد عليهم التذكر وعدم النسيان
كما نص عليه شيخنا فى حاشية علم المصطلح وتشهد له كتب المذهب فافهم
والله اعلم (ويدلك على ما قلناه تغيير العبارة اذ لو كان مراده انهما
كافران لجمع الكل وقال ماتوا كافرين فتأمل فى الفرق بين العبارتين
واراد ان يبين الفرق فى الحكم بين ابى وبين الوالدين الشريفين على
وجه فيه دقة لان دقائق الامام الاعظم ونكات ابى حنيفة النعمان
المقدم ادق من ذلك لا يفهمها الا ذو ذوق سليم وطبع مستقيم
فلا يجوز ان تؤخذ اقوال ذلك الامام الكبير بالجزاف ويخبط فيها
خبط عشواء بابعاد واعتساف (ثم بعد رسمى للجواب تطلعت
عسى ان اظفر بمؤيد من الملك الوهاب بنقل من تأليف اولى الالباب
فبعد ايام عثرت بحمد الله تعالى على نقل صريح وجواب مريح فى رسالة
السرور والفرح للعلامة الساجقلى الحنفى رحمه الله تعالى وشكر
سعيه حيث قال فما معنى قول ابى حنيفة رحمه الله تعالى فى الفقه
الاكبر ووالدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتا على الكفر
وابو طالب عمه مات كافرا قلت ليس معناه ان والديه ماتا على الكفر
حقيقة بل على الكفر مجازا وهو لا يضرهما لانهما آمنا بالخالق
ولم يوجب ابو حنيفة رحمه الله تعالى على اهل الفترة الا
الايمان بالخالق لان ما لا يستقل به العقل وهو ما عدا معرفة
الخالق من الشريعة لا يضر الجهل به زمن الفترة واما معرفة
الخالق فتجب (وهذا هو المراد بقول الامام لا عذر لاحد
فى الجهل بخالقه كما صرح به صاحب التلويح العلامة الثانى

المولى التفتازانى ويجب عند الامام الثواب على ايمان اهل الفترة بالخالق وابوطالب مات كافرا حقيقة لانه امتنع من قبول دعوته عليه الصلاة والسلام فغير ابو حنيفة رحمه الله تعالى اسلوب العبارة اشارة الى هذا فلوكان المراد من كفر والديه الكفر حقيقة لقال ووالدا رسول الله وابوطالب عمه ماتوا كافرين فاعرف (وقال وانما صرح بقوله ماتا على الكفر لدفع توهم ان دعوة الرسول وصلت اليهما فامتنعا عن الشرك فى العبادة فالمعنى انهما ماتا على الشرك فى العبادة وهو لايضرهما وليس ذلك كفرا حقيقة لهما فوجب لهما الجنة عند ابى حنيفة رحمه الله وغيره (وقال ان قلت كيف يقال انهما ماتا على الكفر وانهما فى الجنة وذلك امر عجيب قلت ذلك كعكس ما يقال ان فرعون مات على الايمان وانه من اهل النار لحدوث ايمانه حال اليأس قال الله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا (وقال فالعجب من على القارى صنع رسالة فى الامر المكروه وصدره بالنقول عن الفقه الاكبر ولم يدران المراد بالكفر فيه الكفر مجازا وهو لا يضرهما كما عرفت واتى باخبار آحاد فى الامر المكروه مع انها قابلة للتأويل على ان العمل باصول الفقه اولى من العمل باخبار الآحاد فلعل البرودة اثرت فى رأسه فاختل عقله انتهى كلام السناجقلى (اقول قوله بل على الكفر مجازا فسره هو فى غير هذا الموضع من الرسالة المذكورة بانه يسمى ذلك كفرا مجازا تشبيها له بالكفر الذى لايتحقق الابعد دعوة الرسول (قلت ويوضحه ما يأتى عن ابن الهمام ان اطلاق الطاعة والمعصية قبل ورود امر اونهى مجاز من اطلاق الشئ على مايؤل اليه انتهى وقوله لانهما آمنا بالخالق سيتضح لك فى الباب الذى بعده ان شاء الله تعالى واما قوله انهما ماتا على الشرك فى العبادة ففيه نظر لانه لم يرد فيهما نقل بذلك فمن اين لنا انهما كانا يعبدان الاصنام كغيرهما بل ذكر العلامة الزرقانى

فى شرح المواهب معزيا للعلامة المحقق السنوسى والتلمسانى محشى الشفا انه لم يسبق لوالديه شرك وكانا مسلمين كسائر اصوله صلى الله عليه وسلم لانه عليه الصلاة والسلام انتقل من الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة ولا يكون ذلك الامع الايمان بالله تعالى وماقاله المؤرخون قلة حياء وادب انتهى (اقول وهذا كله على تقدير ثبوت تلك العبارة فى الفقه الاكبر عن الامام الاعظم (وقد جنح الافاضل من العلماء الكبار الى ان هذه العبارة مدسوسة على الامام (قال العلامة المحقق السيد الطحطاوى رحمه الله تعالى فى حاشية الدر المختار وما فى الفقه الاكبر من ان والديه صلى الله عليه وسلم ماتا على الكفر فمدسوس على الامام ويدل عليه ان النسخ المعتمدة منه ليس فيها شئ من ذلك (قال الفهامة المدقق ابن حجر المكى فى فتاواه والموجود فيها ذلك لابى حنيفة محمد بن يوسف البخارى لا لابى حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى وعلى تسليم ان الامام قال ذلك فمعناه انهما ماتا فى زمن الكفر كما مر وهذا لايقتضى اتصافهما به كيف والله تعالى يقول وتقلبك فى الساجدين والمراد بالساجدين ما يعم الساجدات اى انتقالك من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات انتهى (وهذا رد على ابى حيان من جهة حصره تفسير الآية المذكورة بما ذكر فى الرافضة (وقد بالغ فى الرد عليه ابن حجر المذكور بكلام يطول شرحه هنا وشنع على من نقله عنه واقره عليه فراجعه ان شئت فى شرح المواهب (وكذا فسر الآية بماذكره الطحطاوى وابن حجر جمع من ائمة اهل السنة كالامام الفخر الرازى وحافظ السنة السيوطى رحمهما الله تعالى ويأتى بقية الكلام على هذا المبحث فى الباب الخامس ان شاء الله تعالى فقد استبان لك بما ذكر عن العلامتين ان تلك العبارة لا اصل لها عن الامام الاعظم وناهيك بهما امامة وجلالة وشاهدى عدل اما احدهما فابو حنيفة زمانه والآخر

الشافعي في عصره واوانه (وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وكأى من مسألة دست على الائمة الكبار كالشيخ الاكبر قدس سره الاعطر والشيخ الشعراني وحماد المحدث كامر ويؤيده من جهة العقل انه لا غرض للامام في ذكر هذه المسألة على الوجه الذي ظن انه يتعلق به اصل من اصول الدين الذي يخشى من السكوت عنه ضياع اوزلل ام عبادة فيحصل بالصمت عنه فساد اوخلل (فائدة مناسبة لما نحن فيه ذكر صاحب القاموس ما نصه ابو حنيفة كنية عشرين من الفقهاء اشهرهم امام الفقهاء النعمان انتهى فتنبه (فان قلت اخبرنا عما علقه الشيخ ابو المنتهى على هذه العبارة في شرحه الفقه الاكبر حيث قال هذا رد على من قال ماتوا على الايمان وهم الروافض (قلت هذه العبارة فاسدة المزاج يحير فيها جالينوس ولو بذل جهده بكل علاج لانه ان اراد قصر القول بايمان الابوين الكريمين على الرافضة رد عليه بان جماهير اهل السنة قالوا بذلك ومازالوا في القديم والحديث يقولون به و ينشرونه بين الناس وان اراد ان الرافضة حصروا القول بالايمان على الابوين دون سائر الاصول رد عليه ايضا بان الروافض قائلون بايمان جميع الاصول كما نص عليه المحقق صاحب رد المحتار معزيا لابي حيان (وانظر كيف جمع الوالدين واباطالب في عبارة واحدة وحكم عليهم بحكم واحد مع ان الفرق بين العبارتين وبين من مات في الفترة ومن ادرك البعثة اجلى من البدر ليلة تمامه فلا يخفى على من له ادنى ابصار بل لو سأل اصغر طالب من طلبة العلم عن ذلك فانما يجيب بالفرق ولو بكلام مجمل فان كان ماقاله هذا الشيخ عفى الله عنه عن سهو فهو معذور وهو اللائق بامثاله وحملا لحال المؤمن على الصلاح وان عن جهل وعدم اطلاع فمحظور (قال تعالى ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا (وفي الحديث لايحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر

ان يقدم على امر حتى يعلم حكم الله فيه وان عن علم ناشئ عن اول نظرة وحرافة فهم اوعن نقل شاذ فحمق وفضول لايليق بعاقل فضلا عن فاضل وان قصد ان القول بايمان الوالدين الشريفين من اسباب الرفض فتلك ظلمات بعضها فوق بعض تالله لكل مقام مقال ومع هذا ما كل مايعلم يقال شعر

* ترك الامور التي تخشى عواقبها * في الله احسن في الدنيا وفي الدين *

(قال السيوطي رحمه الله تعالى روى البيهقي في شعب الايمان عن بعض السلف قال من كان عقله اصغر من علمه قتله عقله ومن تكلم بكل مايعلم هدر دمه وكثر ذمه انتهى فسبحان الله ماله ولهذه العبارة الشنيعة حتى اسند الوصف الحسن للرافضة والحال السيئة عزاها لاهل السنة هل هو نائم اوفي سنة افلا كان من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اما درى انه ربما اطلع على مقالته العوام ومن هم بعيدوا الافهام او حديثوا عهد بالاسلام واني لم اعن بما ذكرته مجرد التبكيت ولم ارد بما اوردته موارد التبكيت غير اني كرهت من اقواله ماقال وقد ورد الحث على طيب الكلام وحفظ الالسنة بل قال شيخنا على الانسان ان يتحرى اطيب الشئ واحسنه كما قال تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة جعلنا الله واياه من اسعداء الناجين واورثنا الجنة مع السابقين بشفاعة سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى والديه وآله وصحبه الى يوم الدين

الباب الثالث

في بيان ان الوالدين الكريمين وسائر الاصول من اهل الفترة الناجين

لايخفى ان اهل الفترة هم الامم الذين بين ازمنة الرسل عليهم الصلاة والسلام وهم على حسب الاحكام اقسام لا كما يتبادر الى بعض الافهام (ومحل النزاع بين اهل السنة انما هو قسم واحد وهو على

مايفيده استقراء كلامهم من لم تبلغه دعوة الرسول ولم يوحد الخالق بعقله ولم يدخل فى شريعة نبى ولا ابتكر لنفسه شريعة ضالة ولا اخترع دينا مضلا ولم يعبد الاصنام وعاش مدة يمكنه فيها التأمل ولم يتأمل وبقى عمره على حال غفلة عن هذا كله تاركا جميعه فقولنا من لم تبلغه دعوة الرسول كالجنس فى التعريف (وقولنا ولم يوحد الخالق الخ فصول وقيود فخرج من وحد الخالق بعقله اودخل فى شريعة نبى فانه مؤمن اتفاقا كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وسيدنا سعيد احد العشرة المبشرين (وخرج من غير وبدل فاشرك واخترع فضل واضل ومات على ذلك فهو من اهل النار اتفاقا كعمرو بن لحى (وخرج من لم يتصف بشئ مما ذكر وعاش فى غفلة غيرانه عبد الاصنام فحكمه موقوف على الامتحان يوم القيمة كما سيجئ فى الباب الرابع ان شاء الله تعالى (وخرج ايضا من مات قبل مضى مدة يمكنه فيها التأمل ولم يعتقد شيئا من ذلك فهو ناج بالاجماع فلم يبق الا من عاش فى غفلة غير موصوف بشئ مما ذكرناه وادرك مدة يمكنه فيها التأمل (فهذا القسم هو المختلف فيه بين اهل السنة يدركه من له ملكة بكلام القوم وفطنة (ولم ار من سبقنى الى هذا الحد ولا من حرره كهذا التحرير فلله المنة ومزيد الحمد (واعلم ان اختلاف اهل السنة فى هذه المسئلة ناشئ عن اختلافهم فى مسئلة اصولية وهى ان الحسن والقبح عقليان ام شرعيان والاول مذهب الماتريدية والثانى مذهب الاشاعرة غير ان الماتريدية يقولون تارة يستقل العقل بادراك الحسن والقبح وتارة لا وانه يترتب على العلم باحدهما ان يعلم حكم الله تعالى تكليفى ام لا (قال الحنفية قاطبة نعم قد يستقل العقل بادراك الحسن والقبح ثم اختلفوا فى الترتب المذكور وتوضيح المقام بما فى المسايرة للعلامة المحقق ابن الهمام وشرحها للمدقق ابن ابى شريف هو ان الاستاذ ابا منصور ٣ الماتريدى واكثر مشايخ سمرقند رحمهم الله تعالى ذهبوا الى انه يترتب

٣ قوله ابا منصور هو تلميذ ابى حنيفة بالواسطة لان ابا منصور تلميذ ابى نصر وهو تلميذ ابى بكر الجرجانى وهو تلميذ ابى سليمان الجرجانى وهو تلميذ محمد بن الحسن الشيبانى وهو تلميذ ابى حنيفة النعمان رحمهم الله تعالى ذكره الساجقلى فى منهواته رسالته منه

على ذلك وجوب الايمان بالله تعالى ووجوب تعظيمه وحرمة نسبة ما هو شنيع اليه تعالى كالكذب والسفه ووجوب تصديق النبى صلى الله عليه وسلم وهو معنى شكر المنعم وروى الحاكم الشهيد رحمه الله تعالى عن ابى حنيفة رضى الله عنه انه قال لا عذر لاحد فى الجهل بخالقه لما يرى من خلق السموات والارض وخلق نفسه وسائر المخلوقات وعنه انه قال لو لم يبعث الله رسولا لوجب على الخلق معرفته بعقولهم (وقال ائمة بخارى من الحنفية رحمهم الله تعالى لا يجب قبل البعثة ايمان ولا يحرم كفر وحملوا المروى عن ابى حنيفة على ما بعد البعثة ونقل هذا الحمل عنهم ابن عين الدولة فانه قال ائمة بخارى الذين شاهدناهم كانوا على هذا القول وحكموا بان المراد من رواية لا عذر لاحد فى الجهل بخالقه الخ ما بعد البعثة وحكموا ايضا مع قولهم ان العقل مركز الحسن والقبح بان حكم الله تعالى غير تابع لهما عقلا اذ لا يمتنع عقلا ان لا يأمر البارى تعالى بالايمان ولا يثيب عليه وان كان حسنا ولا يمتنع عقلا ان لا ينهى سبحانه عن الكفر ولا يعاقب عليه وان كان قبيحا بل اقبح القبائح (قال المحقق الكمال وهذا الحمل من ائمة بخارى امر ممكن فى العبارة الاولى يعنى لا عذر لاحد فى الجهل بخالقه ولا يخفى عدم تأتيه فى العبارة الثانية يعنى لو لم يبعث الله رسولا لوجب على الخلق معرفته بعقولهم لكن حقق فى التحرير انه يجب حمل الوجوب فى العبارة الثانية على الوجوب العرفى فان الواجب عرفا بمعنى الذى ينبغى ان يفعل (قال وهو الاليق بالاولى واقره تلميذه ابن ابى شريف رحمهما الله تعالى ثم شرع المحقق عطر الله مضجعه فى تنوير دعوى ائمة بخارى فقال والحاصل مما عليه ائمة بخارى انه لا يمتنع عقلا عدم التكليف اذ لا يحتاج سبحانه الى الطاعة او يستكثر بها او يرتاح الى الشكر وكيف يحتاج الى شئ او يستكثر بشئ وهو الغنى مطلقا وكل موجود فقير اليه وكيف يرتاح الى شئ والارتياح ميل تهتز لاجله

النفس فهو انفعال والانفعال فى حقه تعالى محال ولا يتضرر سبحانه بالمعصية ولا يأخذه حنق ٢ بسببها فيتشفى بالعقاب اذ الحنق والتشفى نوعان من الانفعال وهو محال عليه تعالى على ان تسمية الافعال قبل البعثة طاعة ومعصية تجوز اذ هما فرعا الامر والنهى لان الطاعة الاتيان بالمأمور به امتثالا والكف عن المنهى عنه كذلك والعصيان مخالفة الامر والنهى فاطلاق الطاعة والمعصية قبل ورود امر اونهى مجاز من اطلاق الشئ على مايؤل اليه فكيف تتحقق طاعة او معصية قبل ورود امر اونهى (ثم انتقل الى ضرب آخر من الاستدلال فقال بل يجوز العقل العقاب بسبب ذكر العبد اسمه تعالى شكرا له سبحانه لان الشاكر ملك المشكور فاقدامه على الشكر بغير اذن تصرف فى ملك الغير بغير اذنه فيقتضى العقاب ولان العبد اذا حاول مجازاة المنعم بجلائل النعم دون اذن منه قد يستحق التأديب لمحاولته ماليس اهلا له فلولا انه سبحانه اطلق بفضله للعبد ذكر اسمه سمعا ووعد عليه لخاف من انفتح لعقله عظمة كبريائه وجلاله من ان يسميه تعالى بلسانه اذيرى انه احقر من ان يجرى على لسانه ذكر الكبير المتعال لانه يشهد بعين بصيرته ان من آثار القدرة ملكوت السموات والارض ومافيهما من انواع العالم الذى هو فرد حقير من جملة افراد بعضها وانه لايعرف حقيقة نفسه تفصيلا ولا مااودع فيه من القوى فكيف يدرك ذلك من غيره مما لم يشاهده من بديع المخلوقات مع علمه بتمام الاقتدار الالهى على ماهو اعظم مما وجد من السموات والارض ومابينهما فسبحان من تقرب الى خلقه بفضله وعظيم بره تقرب لطف وافضال وجل عن تقرب الحلول والانتقال فحينئذ لم يبق دليل على الحكم للافعال والتروك الا السمع المنقول عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام (وقد قام دليل السمع على عدم تعلق الحكم بالعباد قبل البعثة قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (وجه الاستدلال

٢ قوله حنق الحنق بفتح الحاء المهملة كما فى المصباح مصدر حنق من باب فرح بمعنى اغتاظ واسم الفاعل حنق بفتح فكسر انتهى منه

العذاب مطلقا فى الدنيا والآخرة وذلك نفى اللازم الوجوب والحرمة وانتفاء اللازم يقتضى انتفاء الملزوم فالتخصيص بعذاب الدنيا خلاف مقتضى اطلاق لفظ العذاب بلا موجب يقتضى التخصيص بل ورد السمع دالا على ارادة عذاب الآخرة من اطلاق ذلك انه قال سبحانه فى شان الكفرة كلما القى فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير وفى آية اخرى الم يأتكم رسل منكم فان كلا من الآيتين يرشد الى ان الامر الذى قامت به الحجة عليهم واستحقوا عذاب الآخرة بعصيانهم بعده هو ارسال الرسل لا ادراك عقولهم انتهى (هذا وقد اعتنى العلامة الساجقلى رحمه الله تعالى بتوضيح قول الامام المار آنفا لا عذر لاحد فى الجهل بخالقه فانه قسم الايمان الى سمعى وعقلى وعرف السمعى بما فى المواقف من انه تصديق الرسول فيما علم ضرورة مجيئه به والكفر السمعى هو عدم تصديق الرسول فى ذلك وهذان يسميان ايمانا وكفرا حقيقيين سمعيين وكل منهما لا يكون الا بعد بلوغ الدعوة (وعرف الايمان العقلى بانه تصديق العقل فيما دل عليه من وجود الخالق والكفر العقلى هو الجهل بالخالق عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى وكل منهما يكون قبل بلوغ الدعوة ويسميان ايمانا وكفرا حقيقيين عقليين انتهى (بقى شئ آخر وهو الكفر المجازى العقلى وقد عرفه بانه الشرك فى العبادة قبل دعوة الرسول (قال وهذا لا يضر عند ابى حنيفة يعنى كما لا يضر لدى سائر اهل السنة (وقال قال العلامة مولانا سعد الدين رحمه الله تعالى فى التلويح وهذا مراد ابى حنيفة من قوله لا عذر لعاقل فى الجهل بخالقه لما يرى من خلق الآفاق والانفس واما الشرائع فيعذر بالجهل بها الى قيام الحجة (وصرح فى التلويح ايضا بان من لم تبلغه الدعوة وآمن بالخالق بعقله يصح ايمانه عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى قال وواندار سول الله صلى الله عليه وسلم آمنا بان الله خالق السموات والارض وخالق

انفسهم لاخالق غيره ووحداه فى الخلق مستدلا بما فى سورة لقمان فى حق مشركى اهل مكة ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وبما فى سورة الزخرف ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وبان اسم الوالد الكريم عبد الله (قلت فصار اسمه وسماعه لى سمو مسماه (قال وابو حنيفة رحمه الله تعالى لم يوجب على اهل الفترة الا الايمان بالخالق وهو ايمان عقلى فلم يتصف والداه بالكفر السماعى ولا العقل الحقيقى حتى لو فرض اتصافهما بالكفر المجازى يعنى المتقدم شرحه والحال انهما من اهل الفترة لم يكن ذلك كفرا فى حقهما فوجبت لهم الجنة عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى (قال وقال الامام النسفى فى منار الاصول وعند الماتريدية من لم تبلغه الدعوة اذا لم يعتقد ايمانا ولا كفرا كان من اهل النار لقول ابى حنيفة رحمه الله تعالى به ومراده الايمان والكفر بالخالق لما مر ولما صرح به التفتازانى ايضا فى شرح العقائد من ان العقل يستقل فى معرفة الخالق بالنظر الى المصنوعات لان هذه المصنوعات المشتملة على الافعال المحكمة والنفوس المستحسنة تدل ضرورة على صانع متصف بالحياة والعلم والقدرة والارادة انتهى (قلت ويؤيده قوله تعالى اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وفى انفسكم افلا تبصرون افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت الآية الى غير ذلك مما ورد فى هذا الباب (والحاصل ان القائل بوجوب الايمان عقلا من اهل السنة هو ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله تعالى الائمة بخارى ومن وافقهم كالكمال وتلميذه ولكن اتفق الكل على ان من آمن قبل البعثة بعقله اعتبر ايمانه (ويشهد لهم اعتبار ايمان قس بن ساعدة وزيد ابن عمرو بن نفيل فقد اجمع اهل السنة على انهما من اهل التوحيد (ثم انما يجب الايمان باستدلال العقل على كل احد من اهل الفترة اذا عاش مدة يمكنه فيها النظر اما اذا لم يعش مدة يمكنه فيها النظر فلا عقاب عليه (قال المحقق صاحب رد المحتار

واما الاستدلال على نجاة الابوين بانهما ماتا فى زمن الفترة فهو مبنى على اصول الاشاعرة ان من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا اما الماتريدية فيقولون من مات قبل مضى مدة يمكنه فيها التأمل ولم يعتقد ايمانا ولا كفرا فلا عقاب عليه بخلاف ما اذا اعتقد كفرا او مات بعد المدة غير معتقد شيئا (نعم البخاريون من الماتريدية وافقوا الاشاعرة وحملوا قول الامام لا عذر لاحد فى الجهل بخالقه على ما بعد البعثة واختاره المحقق ابن الهمام فى التحرير لكن هذا فى غير من مات معتقدا للكفر كما صرح به النووى والفخر الرازى (وعليه حمل بعض المالكية ما صح من الاحاديث فى تعذيب اهل الفترة بخلاف من لم يشرك منهم ولم يوحد بل بقى عمره فى غفلة من هذا كله ففيهم الخلاف وبخلاف من اهتدى منهم بعقله كقس ابن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل فلا خلاف فى نجاتهم انتهى (تنبيهات) الاول قد انجه بحمد الله تعالى ما حررناه سابقا من توجيه عبارة الفقه الاكبر بمؤيدات (منها ما مر من شرح الساجقلى لتلك العبارة (ومنها ما وجهه ائمة بخارى من قول الامام لا عذر لاحد الخ. وقد علمت ما رجحه الكمال وتقرير تلميذه عليه وقد سبقهما الى ذلك ابن عين الدولة ونقله صاحب رد المحتار واقره ومال اليه العلامة الطحطاوى حيث قال بعد ما ذكر ان الله احيى الوالدين على ان اهل الفترة ناجون ولو غيروا وبدلوا على ما عليه الاشاعرة وبعض المحققين من الماتريدية ونقل الكمال فى التحرير عن ابن عين الدولة انه المختار لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا انتهى (ومنها ما شرحه الساجقلى ايضا على هذا المروى مؤيدا بما نقله عن العلامة التفتازانى والامام النسفى وغيرهما اظن فى هؤلاء الفحول انهم لم يطلعوا على عبارة الفقه الاكبر على فرض وجودها او اطلعوا عليها وما فهموها فلا اقسم بمالك يوم الدين ومن اوجب بر الوالدين ان ذلك هو الظن المنهى عنه فى محكم

الكتاب وما يذكر الا اولوا الالباب (الثانى قد استفدنا من زبدة الماتريدية الاتفاق على ان الوالدين السيدين الكريمين من اهل الفترة الناجين (ونقل الساجقلى عن ميزان الاصول ان عامة اصحاب الحديث على انه لا يجب على اهل الفترة ايمان ولا يحرم عليهم كفر حتى لو ماتوا على الايمان او على الكفر قبل بلوغ الدعوة اليهم فهم فى مشيئة الله تعالى انتهى (قلت ويجب حمله على اهل فترة عبدوا الاصنام او انقضى عمرهم فى غفلة ليأتى العمل بجميع ما ورد فى اهل الفترة من الادلة القرآنية والاحاديث النبوية والمسائل الاصولية والا فيقع التعارض بين الادلة وليس هذا شان اهل الحديث ولا اهل الاصول كما صرح به شيخنا فى حاشية المصطلح ونص عليه العلامة الزرقانى فى شرح المواهب (قال الساجقلى وما عليه عامة اصحاب الحديث هو اختيار مشايخ بخارى الا انهم قالوا ان اهل الفترة من اهل الجنة فى الاحوال كلها بمنزلة الصبيان والمجانين اذ لا يتصور الايمان السمعى لعدم بلوغ الدعوة اليهم (قال ووالدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الفترة فهل يقول عاقل ان الله لا يدخلهما الجنة لاسيما وهما والدا حبيبه صلى الله عليه وسلم وقد وعده سبحانه بانه يرضيه قال تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى ولا يرضى عليه الصلاة والسلام الا بدخول ابويه الجنة قطعا انتهى (واما بالنظر الى الاصل المار عن الامام ابى حنيفة النعمان المقدم فهما من الموحدين بل لو نظرنا الى الادلة القرآنية السابقة وهى واثلتهم الآيات وجدنا هذا الحكم شاملا لجميع اهل مكة الذين كانوا قبل البعثة بأمل (ومن الظن ان ظاهر مذهب ابى حنيفة رضى الله تعالى عنه فى هذا الباب اضيق مهيع فجل ربنا سبحانه ما ضاق امر علينا الا برحمته اتسع (الثالث قد عرف عامة العلماء الشكر العرفى بانه صرف العبد جميع ما انعم الله به عليه الى ما خلق لاجله من سمع وبصر ونظر وغيرها فصرف البصر

قوله مهيع المهيع الطريق

الى المشاهدات وصرف النظر الى ما يفيد دلالتها على وجوبه تعالى وقدرته وارادته وعلمه وصرف السمع الى تلقى اوامره ونواهيه ووعده وكذا صرف القدم واليد سعيا وتناولا فيما يرضى الله عز وجل وهلم جرا حتى القلب فى عدم ركونه الى غيره تعالى (فان قيل هذا اعم واوسع دائرة من تفسير ابن الهمام فى المسايرة حيث جعل الايمان بالله تعالى وتعظيمه وما عطف عليهما كما هو معنى شكر المنعم (قلنا كل ذلك مندرج تحت تعظيمه جل وعلا كما ذكره شارحها فهو كما قيل (كل الصيد فى جوف الفرا وفيما ذكرناه كفاية عما نص عليه علماء اصولنا وفقهاء مذهبنا رحمهم الله تعالى (قال فى المسايرة وشرحها واما الاشاعرة رحمهم الله تعالى فقد اجمعوا على انه لا يجب قبل البعثة ايمان ولا يحرم كفر وانما وجب الايمان وسائر العبادات وحرم الكفر وسائر المحرمات بورود الشرع وانه ليس للفعل نفسه حسن ولا قبح وانما حسنه ورود الشرع بالاذن فيه وقبحه وروده بالمنع منه فاذا ورد الشرع باطلاقه او حظره حكمنا بانه حسن او قبيح فلولا ورود الشرع لم يعرفا انتهى (وقال فى سبيل النجاة وحكم من لم تبلغه الدعوة انه يموت ناجيا ولا يعذب ويدخل الجنة وهى مسئلة مفرعة على قاعدة اصولية متفق عليها عند الاشاعرة وهى قاعدة شكر المنعم واجب بالسمع لا بالعقل (ومرجعها الى قاعدة كلامية هى التحسين والتقبيح العقليين وانكارهما متفق عليه بين الاشاعرة (وقال مسئلة من لم تبلغه الدعوة ترجع الى قاعدة ثانية اصولية وهى ان الغافل لا يكلف وهذا هو الصواب فى الاصول لقوله تعالى ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون انتهى (وقال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله تعالى فى المحصول شكر المنعم لا يجب عقلا لانه لو تحقق الوجوب قبل البعثة لعذب تاركه ولا تعذيب قبل البعثة اما الملازمة

فبينة واما انه لاتعذيب فلقوله سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فانتفى التعذيب الى زمن البعثة والاوقع الخلف فى قوله تعالى وهو محال (وذكر مثل ذلك صاحب الحاصل والتحصيل والبيضاوى فى المنهاج وغيرهم (وقال القاضى تاج الدين السبكى رحمه الله تعالى من لم تبلغه الدعوة يموت ناجيا (وقال البغوى على التهذيب من لم تبلغه الدعوة لاحجة عليه وللرافعى فى الشرح نحوه (وذكر الامام النووى رحمه الله تعالى فى شرح مسلم على مسئلة اطفال المشركين المذهب الصحيح المختار الذى صار اليه المحققون انهم فى الجنة لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قال واذا كان لايعذب البالغ لكونه لم تبلغ الدعوة فغيره اولى انتهى (فقد جعل الاية الكريمة دليلا على عدم تعذيب الفريقين (احدهما بعبارة النص والاخر بدلالته (وقال العلامة الابى من اجل علماء المالكية فى شرح مسلم ولمادات القواطع القرآنية على انه لاتعذيب حتى تقوم الحجة ببعث الرسل علمنا ان اهل الفترة غير معذبين (وخلاصة الكلام فى هذا المقام كما قاله الحافظ السيوطى طيب الله مهجعه قد اطبقت ائمتنا الاشاعرة فى الاصول والشافعية فى الفقه على ان من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا ويدخل الجنة وهذا لاخلاف فيه عند هؤلاء (وقد نص عليه الامام الشافعى فى الام والمختصر وتبعه اصحابه واستدلوا على ذلك بثمان ايات (الاولى قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (اخرج ابن جرير وابن ابى حاتم فى تفسيريهما عن قتادة فى قوله تعالى وما كنا معذبين الآية قال ان الله ليس بمعذب احدا حتى يسبق اليه من الله خبر او تأتيه من الله بينة (الثانية قوله تعالى ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المؤمنين (اخرج ابن ابى حاتم فى تفسيره عند هذه الآية

بسند حسن عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الهالك فى الفترة يقول رب لم يأتنى كتاب ولا رسول ثم قرأ الاية الكريمة (الثالثة قوله جل ذكره ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى (اخرج ابن ابى حاتم فى تفسيره عن عطية العوفى نحوما قبله (الرابعة قوله تعالى وتبارك اسمه وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى امها رسولا منهم يتلو عليهم اياتنا (اخرج ابن ابى حاتم عن ابن عباس وقتادة رضى الله عنهم فى هذه الاية قال لم يهلك الله مكة حتى بعث اليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فلما كذبوا وظلموا فبذلك هلكوا (الخامسة قوله تعالى جده وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين (السادسة قوله لااله غيره وما اهلكنا من قرية الالها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين (اخرج عبد بن حميد وابن ابى حاتم وابن المنذر فى تفاسيرهم عن قتادة لهذه الاية قال ما اهلك الله من قرية الابعد الحجة والبينة (السابعة قول من تقدس ذاته وتعالت اسماؤه وصفاته وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير (قال المفسرون احتج عليهم ببعثة النبى صلى الله عليه وسلم وهو المراد بالنذير (الثامنة قول من لاخير الاخيره ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون (اورد الزركشى رحمه الله تعالى هذه الاية فى شرح جمع الجوامع استدلالا على قاعدة ان شكر المنعم ليس بواجب عقلا بل بالشرع (واستدل كثير بهذه الاية على ان الغافل لايكلف انتهى ولكل من مسالك الحنفاء للامام السيوطى رحمه الله تعالى وشرح المواهب للعلامة الزرقانى رحمه الله تعالى (اقول

ينبغي حمل هذه النصوص والنقول كلها على اهل فترة عاشوا في غفلة ليتأتى العمل بجميع ماورد من النصوص في اهل الفترة التي ظاهرها التعارض وقدم بعضها وياتي الآخر والله الموفق واذكر مامر من تعريفنا اول الباب وسيأتي مزيد بيان لذلك ان شاء الله تعالى (وهذا ماتيسر من النقل عن السادات الاشاعرة من ائمة الشافعية والمالكية كالأبي والسنوسي والتلمساني وغيرهم رحمهم الله تعالى وجزم بذلك العلامة الزرقاني وهو من اجل علماء المالكية (وقدم في الباب الاول النقل عن الامام موفق الدين ابن قدامة الحنبلي على ان الحنابلة ماتريدية والامام احمد رضي الله عنه فخر كبار ائمة الحديث (وقدم عن العلامة الساجقلي معزيا لميزان الوصول ان عامة اصحاب الحديث موافقون لما اطبق عليه الاشاعرة وانه اختيار مشائخ بخارى كما سلف (مهمة) قد علمت اجماع الاشاعرة ومن وافقهم من الماتريدية على نجاة اهل الفترة مطلقا وهو مبني على اصلين (الاول آية وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فهي قاضية بعمومها بنفي التعذيب عنهم سواء بلغتهم دعوة رسول سابق ام لا (والثاني ان من لم تبلغه الدعوة كان معذورا (وهذا يفيد ان من بلغته دعوة الرسل الماضين ليس بمعذور فلا يكون ناجيا لان مفاهيم اقوال العلماء معتبرة فبين الاصلين تناف لايخفى (ولزم من الثاني ايضا محظور آخر وهو انا لو اعتبرنا هذا الاطلاق لاستحال وجود اهل فترة في زمن ما وقد وردت بها الاحاديث الشريفة والذي يظهر للعبد الضعيف في الجواب عن هذا الاشكال ان العموم في الاية الكريمة واشالها يبقى على حاله وان المراد من الدعوة هي دعوة الرسول الآتي لا الماضي وبه يندفع التنافي ويرتفع المحظور ويحصل التوفيق وبالله التوفيق ويؤيده قولهم لا يجب

قوله كالأبي بضم الهمزة وكسر الباء الموحدة وبالياء التحتية المشددتين نسبة الى آبة قرية من قرى تونس انتهى منه

ايمان ولا يحرم كفر قبل البعثة وهذا بالاتفاق كما سبق عن الكمال (وقد ذكر المحقق الابي على شرح الامام مسلم رحمهم الله تعالى ان اهل الفترة هم الامم الكائنة بين ازمنة الرسل الذين لم يرسل اليهم الاول ولا ادركوا الثاني كالعرب الذين لم يرسل اليهم عيسى عليه السلام ولا لحقوا النبي صلى الله عليه وسلم (افاده العلامة الزرقاني والحافظ السيوطي وهو من الحسن بمكان وتعقبه شيخنا بان ذكر عيسى عليه السلام او ابدل بذكر اسماعيل لكان انسب واظهر بالنسبة الى العرب وكان يبتني على القول بان رسالة الرسول تنقضي بوفاته (قلت ولكنه قد افاد ما تقدم انه لاعبرة ببلوغ دعوة من سبق من الرسل وان القول باعتباره قول مرجوح كما صرح في شرح المواهب بل العبرة بالمرسل اليهم (فقول السيوطي في المسالك ايضا ان من بلغته دعوة نبي من السابقين ثم اصر على كفره فهو في النار قطعا وهذا لانزاع فيه اما هو القول بالمرجوح لكن ينافيه قوله لانزاع فيه واما مراده من صحت الاحاديث بتعذيبه الان هذا لايتوقف تعذيبه على بلوغ دعوة لكفره بما لايعذر به تأمل (ثم قال على ان العرب ما كانوا مكلفين بشريعة ابراهيم ولا غيره عليهم السلام كما دلت عليه الاحاديث وصريح القرآن (وحكى في شرح الهمزية الاتفاق على ذلك نص عليه الامام السيوطي واقره العلامة الزرقاني (ويؤيده قول الشيخ عز الدين بن عبد السلام نفعنا الله به في اماليه كل نبي انما ارسل الى قومه الا نبينا صلى الله عليه وسلم قال فعلى هذا ماعدا قوم كل نبي من اهل الفترة الا ذرية النبي السابق فانهم مخاطبون ببعثة السابق الى ان تندرس شريعته فيصير كل من اهل الفترة هذا كلامه فبان بذلك ان الوالدين الشريفين من اهل الفترة بلا شك لانهما وان كانا من ذرية اسماعيل عليه السلام الا ان شريعته قد اندرست وليسا من ذرية عيسى

عليه السلام ولا من قومه (قلت ينبغي ان يكون جميع قريش بل العرب كلهم من اهل الفترة بلا شك لصدق الدليل عليهم تدبر فلا يردان اهل الفترة الذين بلغتهم دعوة موسى وعيسى عليهما السلام باخبار اليهود والنصارى غير ناجين (قال العلامة السيوطي اذلو اعتبرنا مطلق دعوة رسول سابق لاستحال وجود اهل الفترة لاستحالة وجود من لم تبلغه الدعوة لانه ما من فترة الا وقبلها نبي الى آدم عليه السلام ولا يمكن ان يوجد في الارض من لم يبلغه ان الله بعث نبيا ودعا الناس الى التوحيد (ووقائع الانبياء مع قومهم مشهورة جدا ولو لم يكن الا دعوة الطوفان الذي اغرق الناس جميعا لكفى انتهى وهو في غاية الحسن (قلت وايضا قصة الكليم مع فرعون وقومه لو لم تكن الا هي لكفت (قال وايضا اعتبار ذلك يؤدي الى اضمحلال الاحاديث الكثيرة الصحيحة الواردة في اهل الفترة التي من جملتها احاديث الامتحان انتهى فلله الحمد على ما الهم ونسأله تعالى ان يحفظنا من الامتحان آمين فمن تدبر وتفكر فيما قلناه ونظر بعين البصيرة فيما رويناه عن فحول اهل الدين القويم ونقلناه تحقق نجاة الوالدين الشريفين وعلم انهما من اهل الجنة بلا ريب ولا مين (وهذا مع قطع النظر عما ثبت لهما من المزايا كما ستقر عينك بها ان شا الله تعالى في الابواب الآتية واما بالنظر الى ما ذكر في هذا الباب فسلامتهما لمجموع امور بعضها كاف في النجاة (احدها انهما من جملة اهل الفترة الناجين (والثاني والثالث والرابع تأخر زمانهما وبعد ما بينهما وبين الانبياء السابقين وقصر عمرهما وعموم الجهل في الناس (وبيان ذلك ان آخر الانبياء قبل بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عيسى عليه السلام وكانت الفترة بينه وبين بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة كما مر عن سلمان الفارسي ورواه البخاري عنه ايضا وهذا

هو المشهور كما قال ابن كثير وهناك اقوال ثلاثة دون هذا في الصحة والعدد (وكانا في زمن جاهلية وقد طبق الجهل الارض شرقا وغربا وفقد من يعرف الشرائع الا نفرا يسيرا من احبار اهل الكتاب وغيرهم كزيد بن عمرو بن نفيل (روى ابن اسحاق واصله في الصحيح تعليقا عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما قالت لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسندا ظهره الى الكعبة يقول يا معشر قريش ما اصبح منكم احد على دين ابراهيم غيري ثم يقول اللهم اني لو اعلم احب الوجوه اليك عبدتك به ولكني لا اعلم فهذا يؤيد ما تقدم انه لم يبق اذ ذاك من هو على طريقة مستقيمة الا القليل ولم يعهد للوالدين عمر طويل بحيث يقع لهما فيه التنقيب والتفتيش بل قبضا في ابان الشباب ولم يبلغا سن من بلغ الاحقاب فقد صحح الحافظ صلاح الدين العلائي رحمه الله تعالى ان الوالد الكريم عاش من العمر نحو ثمان عشرة سنة وحين حملت منه السيدة الامينة بسيد العالم صلى الله عليه وسلم ذهب الى المدينة ليمتار منها تمرا لاهله فمات بها والنبي صلى الله عليه وسلم حمل على الصحيح وان الوالدة الكريمة ماتت وهي في حد العشرين تقريبا ومثل هذا العمر لا يسع الفحص عن المطلوب في التوحيد لاسيما وهي امرأة مصونة محجبة في البيت عن الاجتماع بالرجال والغالب على النساء انهن لا يعرفن ما للرجال من الدين والشريعة في زماننا فكيف بزمن الجاهلية الذي رجاله لا يعرفون ذلك فضلا عن نسائه (ولهذا المبعوث صلى الله عليه وسلم تعجب من بعثته اهل مكة وقالوا ابعث الله بشرا رسولا وقالوا ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين (فلو كان عندهم علم من بعثة الرسل ما انكروا ذلك وربما كانوا يظنون ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعث على ما هم عليه فانهم لم يجدوا من يبلغهم شريعة ابراهيم عليه الصلاة والسلام اذ كان بينهم وبينه ازيد من ثلاث آلاف سنة (والكل من مسالك الحنفاء والمقامة السندسية

كلاهما للامام السيوطى واليواقيت والجواهر للعلامة العارف بالله تعالى الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رحمهما الله تعالى ونفعنا بهما (ثم ماذكر من تأخر زمانهما وبعدهما عن الانبياء مبنى على ان اهل الفترة مكلفون بشريعة من قبلهم وهو قول مرجوح والراجح انهم غير مكلفين بذلك بل جميع العرب غير مخاطبين بشريعة من قبلهم كما فى شرح المواهب للعلامة الزرقانى معزيا للامام المحقق الآبى والحافظ السيوطى وغيرهما رحمهم الله وقد مر شرحه آنفا فى المهمة (ثم بعد اللتيا والتى لا تكاد تجد ماتريديا ولا اشعريا الا وقائل بنجاة الابوين قطعا فقد انعقد الاجماع بين اهل السنة على ذلك ولا اعتداد بمن خالف والله الموفق (وماوقع الجزم به من الحكم فى حق الابوين الكريمين يجرى قطعا فى حق سائر الآباء الكرام وعليه الائمة كما نص عليه العلامة ابن حجر واقره فى شرح المواهب (فائدتان) قد علمت ماشى عليه الاشاعرة من ان من لم تبلغه الدعوة غير مكلف ويدخل الجنة على مامر غير انهم اختلفوا فمن قائل انه ناج واختاره السبكى ومن قائل هو مسلم واشار الى ترجيحه الامام الغزالى رحمه الله تعالى الا انه قال هو فى معنى المسلم وقد مشى على هذا السبيل فى والدى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من العلماء حكاه عنهم سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان وغيره وجزم به الآبى فى شرح مسلم وعول عليه شيخ الاسلام المناوى رحمهم الله تعالى وكان اذا سئل عنهما يجيب به كما افاده العلامة الزرقانى (قال الظاهر انه لا منافاة بين القولين المحكيين لان من وصف بالنجاة ودخول الجنة هو فى معنى المسلم (الثانية قد علمت الفرق بين طريق جمهور الماتريدية وبين طريق الاشاعرة من ان الاشاعرة قالوا انه لا يعلم حكم من احكام الله تعالى الا بعد البعثة وهؤلاء الماتريدية قالوا قد يعلم العقل بعض الاحكام قبل البعثة فحينئذ قد استقر الامر عندهم على وجوب الايمان العقلى المترتب على الحسن والقبح

العقليين كما سبق لكن معنى هذا الكلام كما يستفاد من مسايرة ابن الهمام ان العقل انما يعلم ذلك الوجوب بخلق الله تعالى كما انه لا يدرك الحسن والقبح فى الفعل الا باطلاع الله تعالى فحينئذ فالموجب لمقتضى الحسن والقبح الذين يدركهما العقل هو الله تعالى يوجبه على عباده ولا يجب عليه سبحانه شئ وانما العقل آلة للبيان وسبب عادى يعرف به ذلك الحكم وهذا باتفاق الحنفية انتهى (وقوله ان العقل يعلم وجوب الايمان بخلق الله تعالى الخ. يفيد ان من خلق الله فيه هذا العلم من اهل الفترة يجب عليه الايمان ومن لا فلا وعليه فيقال فى الاصل المروى عن الامام لا عذر لاحد الخ. اذا كان محمولا على ماقبل البعثة كما ذهب اليه مشايخ سمرقند هذا فيمن خلق الله فيه العلم بذلك لا مطلقا ورشح بالقاعدة الاصولية انه لا يجوز التكليف عقلا بما لا يطاق باتفاق الحنفية فانه اذا لم يخلق الله ذلك وليس هناك دليل سمعى وقلنا بوجوب الايمان عقلا ومن لم يؤمن فعليه العقاب فهو عين التكليف بما لا يطاق (وقد قال ابن الهمام فى المسايرة لا اعلم احدا من الحنفية جوز عقلا تكليف مالا يطاق (ويرشحه ايضا ان وجوب الايمان العقلى مقيد بما اذا كان هناك مدة يمكن فيها التأمل كما سلف (فبناء على ماذكر ينبغى ان يقيد وجوب الايمان العقلى بقيدين (احدهما ان يخلق الله العلم بالوجوب بان يشرق على قلبه نور يهتدى به كما قالوا فى قس بن ساعدة ان توحيده كان بسبب نور وجده فى قلبه (والآخر ان يدرك الشخص مدة يمكنه فيها التأمل وان لم يوجدا فهو معذور تأمل (قال الكمال واما المعتزلة فذهبوا الى وجوب جميع الاحكام عقلا واستثنوا منها مسائل وهى قصر العقل عن ادراك الحسن والقبح فيها قائلين بان الشرع يأتى كاشفا عنها كحسن صوم آخر يوم من رمضان وقبح صوم اول يوم من شوال وذهبوا الى ان العقل اذا ادرك الحسن والقبح اوجب بنفسه مقتضاهما (واتفق

الحنفية ايضا على نفى ما بنته المعتزلة على اثبات الحسن والقبح العقليين من القول بوجوب امور على الله تعالى منها وجوب الاصلح ووجوب الرزق ووجوب الثواب على الطاعة والعقاب على المعاصى ان امات مرتكبها بلا توبة وو جوب العوض فى ايلام الاطفال والبهائم بناء على منع كون مقابلاتها خلاف الحكمة (بل قالت الحنفية ماورد به السمع من وعد الرزق و وعد الثواب على الطاعة وعلى الم المؤمن حتى الشوكة يشاكها محض فضل وتطول منه تعالى دون وجوب عليه عزوجل لكن لابد من وجود ذلك الموعود به لاجل وعده الصادق لايحصى ثناء عليه سبحانه (ومالم يرد به سمع كتعويض البهائم عن آلامها لم نحكم بوقوعه وان جوزه العقل فقد خالف المعتزلة فى ذلك كله انتهى (فحينئذ قد اتضح الفرق وزال الاشكال بين مذهب اهل السنة من الحنفية وبين ذوى الاعتزال لايشتبه عليك الحال فتقع فى مزالق الاوحال فرحم الله امرأ سلك سبيل الانصاف وعدل عن طريق التعصب وجادة الاعتساف واستغفر الله العظيم

الباب الرابع

فى الذين يمتحنون يوم القيمة من اهل الفترة (قد ورد فى اهل الفترة احاديث انهم موقوفون الى الامتحان بين يدى الملك المنان فمن سبقت له السعادة اطاع ودخل الجنان ومن سبقت له الشقاوة عصى وادخل النيران (منها ما اخرجه البزار والحاكم فى المستدرك عن ثوبان رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيمة جاء اهل الجاهلية يحملون اوثانهم على ظهورهم فيسألهم ربهم فيقولون ربنا لم ترسل الينا رسولا ولم يأتنا لك امر ولو ارسلت الينا رسولا لكنا اطوع عبادك فيقول لهم ربهم ارأيتكم ان امرتكم بأمر تطيعونى فيقولون نعم فيأمرهم ان يعمدوا الى جهنم فيدخلوها فينطلقون حتى اذا دنوا منها وجدوا لها تغيظا

قوله ان يعمدوا هو مضارع عمد يعمد عمدا من باب ضرب بمعنى قصد انتهى منه

وزفيرا فرجعوا الى ربهم فيقولون ربنا اجرنا منها فيقول لهم الم تزعموا انى ان امرتكم بامرى تطيعونى فيأخذ على ذلك مواثيقهم فيقول اعمدوا اليها فادخلوها فينطلقون حتى اذا رأوها فرقوا ورجعوا فيقولون ربنا فرقنا منها ولانستطيع ان ندخلها فيقول ادخلوها داخرين (فقال النبى صلى الله عليه وسلم لو دخلوها اول مرة كانت عليهم بردا وسلاما (قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين رواه السيوطى فى مسالك الحنفاء واقره الذهبى كما فى شرح المواهب (ومنها حديث الاسود بن سريع وابى هريرة رضى الله عنهما مرفوعا اربعة يحتجون يوم القيمة رجل اصم لايسمع شيأ ورجل احمق ورجل هرم ورجل مات فى فترة (اخرجه الامام احمد وابن راهويه والبيهقى وصححه وفيه واما الذى مات فى الفترة فيقول رب ما اتانا لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل اليهم ان ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم يدخلها سحب اليها (ذكره العلامة الزرقانى رحمه الله تعالى فى شرح المواهب (قوله واما الذى مات فى الفترة الخ قبله فاما الاصم فيقول رب لقد جاء الاسلام ولا اسمع شيأ واما الاحمق فيقول رب لقد جاء الاسلام والصبيان يحذفونى بالبعر واما الهرم فيقول رب لقد جاء الاسلام وما اعقل شيئا واما الذى مات فى الفترة الحديث (ذكره فى مسالك الحنفاء انتهى (ومنها ما اخرجه عبد الرزاق وابن جرير وابن ابى حاتم وابن المنذر عن ابى هريرة رضى الله عنه موقوفا قال اذا كان يوم القيمة جمع الله اهل الفترة وذكر نحو حديث الاسود (قال ابو هريرة رضى الله عنه اقرؤا ان شئتم وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا واسناده صحيح على شرط الشيخين ومثله لا يقال من قبل الرأى فله حكم الرفع كما رواه الامام السيوطى رحمه الله تعالى (واحاديث هذا الباب تزيد على ذلك والصحيح منها ما ذكرنا كما افاده العلامة الزرقانى فان قيل فماذا تصنع بالقاعدة التى اجمع

عليهـا الاشاعرة ونص عليهـا الامام الشـافعي في الام وتبعه اصحابه وهي ان من لم تبلغه الدعوة يكون ناجيا ويدخل الجنة من غير توقف على شيء آخر كما مر مصرحا به عن فحول العلمـاء مع احاديث هذا البـاب حيث انهـا ناطقة بان امرهم موقوف الى الامتحان اهما قسمـان متباينتان ام مترادفان لان صريح تلك القاعدة الجزم بنجاة من لم تبلغه الدعوة ودخوله الجنة من غير توقف على الامتحان ومقتضى هذه الاحاديث التوقف وعدم الجزم بشيء قلت قد تردد الحـافـظ السيوطي في جواب هذا الوارد ففي بعض كتبه جزم بالتغاير وهو الموافق لصريح جزمه بالنجـاة ودخول الجنة كما سبق (وفي بعض كتبه جزم بالترادف قال ويكون معنى قولهم ان من لم تبلغه الدعوة يكون ناجيا اي بشرط لا مطلقا وقولهم لا يعذب اي ابتداء كما يعذب من عاند بل يجري فيه الامتحان ويكون امتحانه في الآخرة منزلا منزلة بلوغه دعوة الرسل في الدنيا وعصيانه في الاخرة بمنزلة مخالفته للرسل موافقة لفهم ابي هريرة رضي الله عنه من الاية التي استدل بها الاشاعرة على النجاة مطلقا وهي قوله تعالى وما كنـا معذبين حتى نبعث رسولا فالمراد من الرسول عنده ما هو اعم من رسل الدنيا ورسـل الامتحان في الآخرة ذكره العـلامة الزرقاني (اقول فهم هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه لا يعاد له شيء وكذا امام اهـل السـنة الا انا نختـار قوله الاخر وهو الحكم بالمغاير قطعـا وهذا هو الموافق للظاهر من نصوص جميع القوم الذين منهم الامام الشافعي رحمه الله تعالى والامام الفخر الرازي والقاضي البيضاوي والقاضي تاج الدين السبكي والعلامة الغوي والامام الرافعي والامام النووي والعلامة الآبي والعلامة الزركشي فهؤلاء الائمة صرحوا بان من لم تبلغه الدعوة يـكون ناجيا ويدخل الجنة من غير توقف على الامتحان فلا محيص لنـا عن الجزم بان ما صدق عليـه احاديث هذا البـاب غير ما صدقت عليه تلك القاعدة بحمل هـذه الاحاديث على اهـل الفترة الذين

لم يعـانـدوا ولم يغيروا ولم يبـدلوا وعاشوا في غفـلة ولكنهم عبدوا الاصنام كما هو صريح حديث ثوبان رضي الله عنه وبحمل القاعدة على اهل فترة عاشوا في غفلة وماتوا على ذلك من غير ان يصدر منهم عنـاد ونحوه ولا عبادة اصنام كما مر في تعريف اهل الفترة بدليل قوله تعالى ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون (وقد استـدل بهـذه الآية الكريمة السيوطي نفسه في سبيل النجاة على ان الغافل غير مـكلف وصرح بان من لم تبلغه الدعوة يموت ناجيا ولا يعذب ويدخل الجنة قال وهذا هو الصواب (وقد اطبق عليه ائمتنا الاشاعرة وائمتنا الشافعية انتهى (تنبيه) قدمنا ان حكم اهل الفترة عند اهل الحديث موقوف غير محكوم الآن عليهم بشيء كما نص عليه الساجقلي فلعل الحـافظ السيوطي تارة وافق المحدثين كما انه تارة وافق اهل الاصول والفقهاء وكأن المحدثين والله اعلم اخذوا بهذه الاحاديث واقتصروا عليها كما ان الاشاعرة ومحققـي الماتريدية اخذوا بالآيات واقتصروا عليها (وما احسن الجمع بين الادلة والعمل بهـا تأمل (ويدلك على مختارنا ما افاده في مسـالك الحنفـاء معزيا لعقيل بن ابي طـالب ان اهل الفترة ليسوا في الحكم سواء فان منهم من صحت احاديث بتعـذيبه وهو من عاند فاشرك واخترع وبدل كعمرو بن لحي اول من سن للعرب عبـادة الاصنـام وشرع الاحكام فبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي (ففي الحـديث الشريف رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار رواه البخـاري ومسـلم (ومنهم من وحد الله تعـالى بعقله او تشرع بشريعة من قبلنـا كقس بن ساعـدة وتبع وقومـه وقـد مر شرحهما ويأتي (ومنهم من خلي عن هذا كله انتهى (فعلى مقتضى قاعـدة الاشـاعرة هو ناج ويدخل الجنة وعلى مقتضى احاديث الامتحان هو موقوف على المشيئة وعليه المحدثون وعلى تقريرنا ينقسم الى نوعين (نوع عبد الاصنـام وفيه وردت احاديث هذا البـاب

(ونوع عاش فى غفلة عن جميع ذلك وفيه وردت الآيات وهو ما اطبق بنجاته الاشاعرة من غير تأويل للدليل وصرفه عن ظاهره ولا تقدير فى كلام القوم بل تبقى الآية الكريمة دالة بظاهرها على انتفاء العذاب قطعا عمن عاش فى غفلة عن جميع ذلك (ومن القواعد المقررة انه اذا اختلف كلام امام يؤخذ بما يوافق الادلة الظاهرة و يعرض عما خالفها كما صرح به المحقق صاحب رد المحتار معزيا للعلامة ابن حجر انتهى (وما جنحنا اليه سالم من التأويل والتقدير المذكورين على انه وردت آيات تدل على انتفاء عذاب الاخرة بالخصوص (فمنها قوله تعالى كلما القى فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير (ومنها وسيق الذين كفروا الى جنهم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم يأتكم رسل منكم الآية (قال ابن الهمام فان كلا من الآيتين يرشد الى ان الامر الذى قامت به الحجة عليهم واستحقوا عذاب الاخرة بعصيانهم بعده هو ارسال الرسل انتهى كلامه (والآيات الواردة فى هذا الباب الدالة على انتفاء عذاب الآخرة بالخصوص تزيد على ما ذكرنا ومثل التقسيم الذى ذكرناه عن عقيل ابن ابى طالب نقله الزرقانى عن الآبى (ونقل عنه ايضا ان تلك الاحاديث اخبار آحاد فلا تعارض القاطع ثم لو كان مراد الاشاعرة غير ما ذكرنا وكان الحكم عندهم فى من لم تبلغه الدعوة التوقف الى الامتحان لكان الاولى لهم ان يقولوا من لم تبلغه الدعوة فهو على خطر فانه اوجز واخصر ولا داعى الى الجزم بالنجاة فعلى ما قررناه صار ما عدا حديث ثوبان رضى الله عنه من قبيل العام الذى اريد به الخصوص فانه خص منه من لم يعبد الاصنام ومضى عمره فى غفلة سواء ادرك مدة يمكنه فيها التأمل ام لا (فالاولى فيها الخلاف بين الاشاعرة وجمهور الماتريدية (والثانية لاخلاف فى النجاة فيها كما مر وخص منه ايضا من وحد الله

تعالى بعقله ومن تشرع بشريعة نبى من الانبياء على نبينا وعليهم افضل الصلاة واتم التسليم كما خص من الكل من صح تعذيبه من غير توقف (والظاهر ان آية وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وامثالها من قبيل العام الذى اريد به الخصوص (واما قول الاشاعرة ومحقق الماتريدية لا يجب ايمان قبل البعثة ولا يحرم كفر (فينبغى ان يحمل على من صارت الآية الكريمة والقاعدة الاصولية دليلين عليه وهو من لم يؤمن وعاش فى غفلة عن كل شئ حتى مات (وان يكون المراد من قولهم لا يحرم كفر لا يحرم عدم الايمان بمعنى انه كما لم يجب ايجاده لا يحرم عدم الاتصاف به فالعطف حينئذ للتفسير ولا يصح ان يكون المراد منه لا يحرم الشرك بالله تعالى لانها قد وردت الاحاديث الصحيحة فى بعض اهل الفترة بالتعذيب وفى بعض آخر بالتوقف على الامتحان كما سبق (فالذى ينبغى المصير الى ما قلنا (واما ما مر من حديث مهما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار فينبغى ان يحمل على ما بعد البعثة او وعلى ما قبلها ممن كان على نهج عمرو بن لحى (وهذا ما تيسر للفهم القاصر من التوفيق بين الادلة الواردة فى شان اهل الفترة التى ظاهرها التعارض والله تعالى اعلم (فقد تبين بما ذكرناه هنا وفى الباب الذى قبله ان اهل الفترة ستة اقسام (قسم وحد الله تعالى بعقله بسبب نور وجده فى قلبه (وقسم دخل فى شريعة حق قائم الرسم (وقسم غير وبدل فاشرك واخترع فضل واضل (وقسم عاش فى غفلة عما ذكر الا انه عبد الاصنام (وقسم عاش فى غفلة عن هذا كله لم يتصف بشئ منه (وهذا الاخير تحته قسمان (قسم طال عمره وادرك مدة يمكنه فيها التأمل (وقسم قصر عمره ولم يدرك ذلك (فمن القسم الاول قس ابن ساعدة الايادى وزيد بن عمر بن نفيل والد سعيد احد العشرة وهو عم عمر بن الخطاب رضى الله عنهم وعبد المطلب جد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فاما قس بن

ساعدة فهو اول من آمن بالبعثة من اهل الجاهلية واول من اتكأ على عصا فى الخطبة واول من قال اما بعد واول من كتب من فلان الى فلان وكان خطيب العرب قاطبة (روى الازدى وغيره من طرق عن ابى هريرة رضى الله عنه مرفوعا (قال رحم الله قسا كأنى انظر اليه على جمل اورق تكلم بكلام له حلاوة لا احفظه (فقال بعض قومه نحن نحفظه فقال هاتوه فذكروا خطبته المشحونة بالحكم والمواعظ انتهى (ومن ذلك ما اخرجه ابونعيم فى الدلائل عن ابن عباس رضى الله عنهما ان قس بن ساعدة كان يخطب قومه فى سوق عكاظ فقال فى خطبته سيعلم حق من هذا الوجه واشار بيده نحو مكة (قالوا له وما هذا الحق قال رجل من ولد لؤى بن غالب يدعوكم الى كلمة الاخلاص وعيش الابد ونعيم لا ينفد فان دعاكم فاجيبوه ولو علمت انى اعيش الى مبعثه لكنت اول من يسعى اليه انتهى (وعاش ثلاثمائة وثمانين سنة وذكر كثير من اهل العلم انه عاش ستمائة سنة انتهى من المواهب وشرحها (قلت فعلى هذا يكون قد ادرك عيسى عليه السلام (واما زيد بن عمرو فانه كان ممن طلب التوحيد وجانب الشرك (روى ابن سعد والفاكهى عن عامر بن ربيعة حليف بنى عدى بن كعب قال قال لى زيد بن عمرو انى خالفت قومى واتبعت ملة ابراهيم واسماعيل ومن كانا يعبدان وكانا يصليان الى هذه القبلة وانا انتظر نبيا من بنى اسماعيل يبعث ولا أرانى ادركه وانا اومن به واصدقه واشهد انه نبى وان طالت بك حياة فاقرأه منى السلام (قال عامر فلما اعلمت النبى صلى الله عليه وسلم بخبره رد عليه السلام وترحم عليه وقال رأيته فى الجنة يسحب ذيولا ذكره فى فتح البارى (وقال عليه الصلاة والسلام فى كل من قس وزيد انه يبعث امة وحده انتهى ذكره القسطلانى والزرقانى رحمهما الله تعالى (وقال فى المسالك معزيا للتذكرة ابن مكتوم ان جماعة من الجاهلية كانوا على ارث من ارث ابراهيم

قوله فاقرأه هو من باب الافعال لانه تعدى الى مفعولين احدهما الضمير والاخر الاسم الظاهر واما قرأ الثلاثى فانه يتعدى بنفسه الى مفعول واحد فقط انتهى منه

منهم عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم وقس وزيد وكانوا متمسكين باشياء منها تحريم الامهات والبنات وبنات البنين وبنات البنات والاخوات وبنات الاخوات والعمات والخالات انتهى وسيأتى الكلام على مناقب عبد المطلب فى آخر الباب وفى الباب الذى بعده ان شاء الله تعالى (ومن القسم الثانى ورقة بن نوفل وعمه عثمان بن الحويرث وتبع وقومه من حمير واهل نجران بفتح النون وسكون الجيم بلد قريب من اليمن فهؤلاء تنصروا فى الجاهلية قبل نسخ دين النصرانية قاله فى المواهب وشرحها (ومن القسم الثالث عمرو بن لحى وصاحب المحجن وزان مقود خشبة فى طرفها اعوجاج فاما عمرو فقد مر له شرح ويأتى (واما صاحب المحجن فهو الذى كان يسرق الحاج بمحجنه فاذا ابصر به قال انما تعلق بمحجنى (ففى حديث مسلم واحمد عن جابر رضى الله عنه مرفوعا يا ايها الناس ان الشمس والقمر آيتان فذكر الحديث وفيه ورأيت فيها صاحب المحجن يجر قصبه فى النار كان يسرق الحاج بمحجنه فان فطن به قال انما تعلق بمحجنى وان غفل عنه ذهب به ذكره فى المواهب وشرحها (واما القسم الرابع فامرهم موقوف الى يوم القيمة كما صرحت به الاحاديث الصحيحة وهم اكثر العرب (واما القسم الخامس فهو غير ناج عند جمهور الماتريدية ناج عند الاشاعرة ومحققى الماتريدية (واما السادس فهو ناج بالاجماع (ويشهد لجمهور الماتريدية قوله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر (قال شيخنا قدره المفسرون بستين سنة وبه ورد حديث الجامع الصغير من اتت عليه ستون سنة فقد اعذر الله عليه فى العمر (قلت وفى صحيح البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اعذر الله الى امرئ اخر اجله حتى بلغ ستين سنة قال البخارى رحمه الله تعالى لقوله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير (واعلم ان جميع ما قررناه من اول الباب الى هنا من تضارب القواعد وتعارض الادلة انما هو ناشئ من طريق الاشاعرة ولا يعزب عنك ما مر عن رد المحتار ان الامام الفخر الرازى

قوله فطن به هو من بابى فرح ونصر قوله وغفل عنه الغفلة عن الشئ تركه اهمالا واعراضا يقال غفلت عن الشئ غفولا من باب قعد وغفلة ايضا انتهى منه

والنووى صرحا بان من كان مشركا من اهل الفترة فهو فى النار ونقله ايضاعنهما الزرقانى مع انهما مصرحان بما اجمعت عليه الاشاعرة كما سبق فى الباب الذى قبله ولكن الاحسن من ذلك المار كله ان نقول انما ورد من الاحاديث من كل ما عارض الآيات اخبار آحاد فلا تعارض القاطع كما تخلص به بعض العلماء من ائمة المالكية فى مثل هذا المقام كما مر (واما مذهب جمهور الماتريدية فسالم من هذا كله لان القاعدة عندهم ما صرح بها صاحب رد المحتار ان من مات قبل مضى مدة يمكنه فيها التأمل ولم يعتقده ايمانا ولا كفرا فلا عقاب عليه بخلاف ما اذا اعتقد كفرا اومات بعد المدة غير معتقد شيأ كما مر فى الباب الذى قبله (فليس عند هؤلاء مما عدا الموحدين ناج الاقسم واحد ويوافقهم عليه عامة الاشاعرة كما عرفت واذا علمت ذلك فجميع اباء النبى صلى الله عليه وسلم من اشرف الاقسام قسما كما وردت به الاحاديث الصحيحة ويأتى فى الباب الذى بعده فهم كما قيل فيهم

قوم هم الناس اما غيرهم فكلا * وفرقة الحق تلغو دونها الفرق

خصوصا والديه الشريفين فلابد انهما من اشرف الحزب المفلحين ولهما الغرفات العلى بشفاعة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم (كيف وقد ورد الحديث الصحيح فى حقهما بالخصوص ولا عجب الجدير بان يرسم بماء الحياة على صحيفة من ذهب (وهو ما رواه ابن مسعود رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم سئل عن ابويه فقال ما سألتهما ربى فيعطينى فيهما وانى لقائم يومئذ المقام المحمود اخرجه الحاكم وصححه واقره الامام السهيلى والحافظ ابن حجر والحافظ السيوطى فى رسائله والامام الشعرانى فى اليواقيت والعلامة الزرقانى فى شرح المواهب رحمهم الله تعالى وفى اعراب الحديث نوع دقة وتوضيحه ان ما نافية وقوله سألتهما اصله سألت اياهما من باب الحذف والوصل والفاء من قوله فيعطينى فاء الفصيحة داخلة على قول مقدر والتقدير ما سألتهما

كما قيل فيهم قائل هذا البيت الفاضل الاديب المرحوم حسن افندى بوسنوى المدنى وهذا البيت من قصيدة انشأها المذكور فى آل المصطفى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم انتهى
مد

ربى فى الدنيا واذا اردت معرفة ما يكون فى الآخرة فأقول يعطينى ربى فيهما تفضلا واحسانا حال قيامى المقام المحمود (والمعنى انه صلى الله عليه وسلم لم يسأل الله والديه اى لم يتفق له ذلك ثقة بما وعده به ربه جل وعلا انه يعطيه فيهما حال قيامه اشرف مقام فى القيمة وهو المقام المحمود ويحتمل ان ما شرطية او موصولة فعلى الاول جملة فيعطينى الى آخره جواب الشرط وعلى الثانى هى الخبر والفاء زائدة وعلى هذين الوجهين يكون قد وقع السؤال فى الدنيا لكن تأخر الانجاز فى الاخرة لانها محط الفائدة وخص بذلك المقام لما فيه من مزيد الاجلال والاكرام (وقد مر تفسير المقام المحمود بانه الشفاعة العظمى وهو المقام الاسمى (وقال عبد الله بن سلام رضى الله عنه هو جلوسه على الكرسى رواه العلامة الامير فى حاشيته على مولد الشيخ الدردير نفعنا الله بهما قلت وعلى كل فهو المقام الذى يغبطه فيه الاولون والآخرون ولا مانع مما رواه العلامة الامير اذا صح حيث كان بالاذن فان للسلطان ان يأذن لاخص خواصه بالجلوس على ما يخصه (والحال انه فقير الى ربه محتاج والله تعالى غنى عن كل شئ والكل اليه يحتاج كما قال جل وعلا ان الله لغنى عن العالمين فاى مانع من ان يأذن لحبيبه فى ذلك فانه لا حاكم عليه سبحانه لاسيما والمقام مقام تشريف وتكريم واظهار لمزيته على سائر اولى التفخيم وانظر صنع اهل المحشر حين يشتد عليهم الامر ينعقد رأيهم على الذهاب الى آدم عليه السلام فيذهبون اليه فيحيل الامر الى نوح عليه السلام وهكذا وكل يعتذر من ذلك حتى ينتهى الامر الى نبينا عليه الصلاة والسلام فيقول انا لها انا لها والحال ان فى الناس الصحابة والمجتهدين وعلماء الامم من انه صاحب الشفاعة العظمى قطعا ولكن الله تعالى صرف علم ذلك عنهم اظهارا لشرف حبيبه صلى الله عليه وسلم على رؤس الاشهاد من الثقلين والملائكة وكن على ذكر من قصة الاسراء حيث اخترق الحجب حتى صار الى قاب قوسين او ادنى وقد كان هذا فى الحياة الدنيا فبالاولى الدار الاخرة التى هى محل اظهار الفخر والشرف ومن ثم يقول

قوله على ذكر هو بضم الذال المعجمة اى التذكر واما الذكر بالكسر فهو الحفظ للشئ انتهى مد

بعض الانبياء لبعض بهذا فضلكم محمد ذكره فى الحاشية المذكورة

* ولله در القائل شعرا *

ولى رشأ من آل فهر بن مالك * حوى شرفا فى العالمين وسؤددا
عروس لؤى صفوة الخلق كلهم * و ذاك ابن عبد الله اعنى محمدا

(ولبعضهم)

حبيب سرى للعرش بالك رفعة * تقاصر ادريس لها ومسيح

(وقال)

مشى وحده والحجب ترفع دونه * واملاكها تسعى له وتقوم

وقد ذكر الجلال فى مقامته السندسية معزيا للامام حجة الاسلام الغزالى نفعنا الله به ورضى عنه واقره ان الله تعالى ملك حبيبه الجنة (اقول وما على من اصطفاه سيده واولاه وخصه بما شاء من ملكه وحباه ان يقال له

ته دلالا فانت اهل لذاك * وتحكم فالله قد ولاكا

قال شيخنا حين عرضنا عليه ماقررناه فى الحديث وهذا الفهم متعين لكون المتبادر ان ما نافية وحينئذ فلو جعل قوله فيعطينى فيهما بالنصب على حد ما تأتينا فتحدثنا او بالرفع على اضمار لا على حد ولا يؤذن لهم فيعتذرون لكان محصوله نفى السؤال والاعطاء وهذا لا يليق فى نفسه ولا بالنظر الى قوله فى آخر الحديث وانى لقائم يومئذ المقام المحمود فتنبه واذا تحقق جميع ماقررناه فليت شعرى هل يقدر العقل قدر تلك العطية من كم او كيف وتذكر مامر عن ابى هريرة رضى الله عنه بسند جيد مرفوعا سألت الله الشفاعة لامتى فقال لك سبعون الفا يدخلون الجنة من غير حساب ولا عذاب قلت رب زدنى فحثا لى بيده مرتين عن يمينه وعن شماله فتبصر فى تلك الحثيات هل توازنها السموات بمن فيها وما اظلت والارض بمن عليها وما اقلت الا انه * قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد * و ينكر الفم طعم الماء من سقم * (وانما بسطنا الكلام فى هذا المقام لتعلم مزية

قوله يقدر هو من بابى ضرب ونصر انتهى مؤلف

اصليه الكريمين على سائر الامة ولا تغفل عما لهما من المزايا واستعد لما سنذكره من انهما كانا موحدين كسائر اصوله الكرام وما سوف نتلوه عليك ان شاء الله تعالى من احيائهما وايمانهما به صلى الله عليه وسلم ولا غرابة فى ذلك بعد ان كانا مشكاة مصباح سيد الاولين والآخرين وعنصر فخر الانبياء والمرسلين صلى الله عليه وعلى والديه وعلى جميع الانبياء والمرسلين وآل كل وصحبه اجمعين ونسأله تعالى ان يسكننا معهم جنات النعيم بلا سابقة عذاب بفضله العميم (والحاصل انه صلى الله عليه وسلم لم يزل راقيا رفيع الدرجات واعلاها نائلا من ربه اسمى العطايا واسناها وغير خاف ان العطية على قدر المعطى والمعطى له واولم يكن فى هذا المقام الا انعام بمضمون ولسوف يعطيك ربك فترضى لكفى (اخرج ابن جرير فى تفسيره عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال من رضا محمد صلى الله عليه وسلم ان لا يدخل احد من اهل بيته النار رواه السيوطى فى مسالك الحنفاء والزرقانى فى شرح المواهب وفيهما من حديث عمران بن حصين رضى الله عنه من تخريج ابى سعيد فى شرف النبوة وغيره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربى ان لا يدخل النار احدا من اهل بيتى فاعطانى ذلك انتهى فاذا كان حريصا على جميع اهل بيته بل على جميع امته ان لا يعذب احد منهم كما ذكر فى الجلالين عند تفسير هذه الآية انه صلى الله عليه وسلم قال اذا لا ارضى وواحد من امتى فى النار فلان يكون حريصا على انقاذ اصوله اولى ومن سوء الفهم واساءة الادب ان يتوهم خلاف ذلك اين المروءة ام من البر من انسان مقرب عند ملك كريم عظيم له الصولة التامة والكلمة النافذة والمكانة العليا وهو القاسم لعطايا ذلك الملك ان يرضى ان تكون اصوله محرومة من تلك العطايا فكيف بمن انعقد عليه الاجماع انه سيد كريم على ربه وانه لا اكرم منه بعد الله عز وجل ولا شبهة فى ان ربه عز وجل منجز له ما وعده

ان الله لا يخلف الميعاد قال الشاعر *

*وانى وان اوعدته اووعدته * لمخلف ايعادى ومنجز موعدى*

وفى المصباح اوعده ايعادا بالشر ووعده وعدا بالخير والموعد مصدر اوظرف زمان اومكان والخلف فى الوعد عند العرب كذب وفى الوعيد كرم انتهى (وقد اثنى الله تعالى على نبى الله اسماعيل عليه السلام بصدق الوعد فقال انه كان صادق الوعد فامعن النظر فى ذلك وافهم ويؤيد ماذكر ما اخرجه الديلمى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من اشفع له يوم القيمة اهل بيتى ثم الاقرب فالاقرب وما اورده الطبرى وعزاه لاحمد فى المناقب عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر بنى هاشم والذى بعثنى بالحق نبيا لواخذت بحلقة باب الجنة مابدأت الا بكم وما اخرجه الطبرانى من حديث ام هانى رضى الله تعالى عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال مابال اقوام يزعمون ان شفاعتى لاتنال اهل بيتى واخرج الطبرى نحوه وفيه انى لأشفع فاشفع حتى ان من اشفع له ليشفع فيشفع حتى ان ابليس ليتطاول طمعا فى الشفاعة ومما يرشح مانحن فيه ما اخرجه ابن ابى الدنيا قال حدثنا القاسم بن هاشم السمسار بسنده عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربى ابناء العشرين من امتى فوهبهم لى والكل مذكور فى مسالك الحنفاء اقول اشار رحمه الله تعالى بقول مانحن فيه الى مزية اخرى للوالدين الكريمين بانهما المقصودان من السؤال اولا وبالذات فقدمر انهما لم يبلغا سن العشرين كما صححه الحافظ صلاح الدين العلائى واقره الحافظ السيوطى والشيخ الشعرانى والعلامة الزرقانى رحمهم الله تعالى فكأنه صلى الله عليه وسلم اراد ان يسألهما بالخصوص لحداثة سنهما يدانه لما كان عين الرحمة وقد عمت العالم باسره والكل محتاج ومنتظر لها وهمته

صلى الله عليه وسلم لاتعادلها همة احد من الخلق ابت نفسه الشريفة ان يقصر السؤال لاسيما والمسؤل جواد مفضال فاذا عمم فى الطلب فشمل كل من سنه كذلك ومن كان قبل البعثة وبعدها على ماسبق ودخل فى السؤال الاناث بدلالة النص لانهن شقائق الذكور فى مثل هذا وابس الذكور باولى منهن بذلك فانظر كيف عمت تلك المزية خلقا لايحصون بسبب الوالدين الشريفين تدبر بقى حديث صريح فى المقام وهو مارواه تمام الرازى فى فوائده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال اذا كان يوم القيمة شفعت لابى وامى وعمى ابى طالب واخ لى كان فى الجاهلية (اخرجه الحافظ السيوطى فى مسالك الحنفاء معزيا للطبرى (قال وهو من الحفاظ والفقهاء وقد ورد هذا الحديث من طريق ابن عباس رضى الله عنهما ايضا وفيه التصريح بان الاخ من الرضاع لامن النسب كما اخرجه ابو نعيم وغيره فهذا الحديث وان كان ضعيفا لكنه يتقوى بكثرة طرقه كما اشار اليه الامام السيوطى رحمه الله تعالى بقوله (فهذه احاديث يشد بعضها بعضا فراد الامام السيوطى رحمه الله تعالى ان هذا الحديث وامثاله ارتقى الى مرتبة الحسن كما تقرر فى علم الحديث ويسمى الحسن لغيره (وتعريفه كما قال شيخنا فى حاشية علم المصطلح بانه الذى لم يجتمع فيه شروط الصحة ولا شروط الحسن لذاته ولكن قد وجد له شاهد اولروايته متابع مماثل له اواعلى انتهى (وقد تقدم اول الكتاب تعريف الصحيح (ولافرق بينه وبين الحسن لذاته الا بتمام الضبط ونقصه قاله شيخنا فى الحاشية (وفيها انه لايشترط فى التابع والشاهد ان يكونا من الثقات كما قال ابن الصلاح بل قد يكون كل من التابع والمتابع لااعتماد عليه ولكن باجتماعهما تحصل القوة كما قال السخاوى (والفرق بين المتابع والشاهد ان احد الراويين اذا شارك الآخر فى حديث فان اتحد الصحابى فهى المتابعة وان اختلفا فشاهد

فكل ماجاء عن هذا الصحابى مؤيدا فن باب المتابعة وكل ماجاء عن صحابى آخر مؤيدا فن باب الشهادة وهذا هو معتمد الحافظ ابن حجر وقدبنى شيخنا النظم عليه فقال

* ومن يشارك فى حديث سامعا * من شيخ اواعلى يكن متابعا *
* اذاروى عن ذا الصحابى ومتى * تغايرا فشاهدان ثبتا *

فقدظهر وجه ارتقاء الحديث الى مرتبة الحسن على انه ليس من قسم الضعيف الشديد الضعف بل جميع ماوردناه فى هذا الكتاب عن الامام السيوطى من الاحاديث ليست خارجة عن مرتبة الصحيح والحسن كما اشار الى ذلك فى المقامة السندسية حيث قال ولو كنا نحب ايراد الواهيات لأوردنا حديث اوحى الى انى حرمت النار على صلب انزلك وبطن حملك لكنى لا احتج بحديث واه فان فى الدلالة القوية غنى عما فيه تكلم واذاحضر الماء بطل التيمم انتهى (قوله انى حرمت النار الحديث هذا الحديث شدة ضعفه انماهى من جهة اللفظ والسند فقط لامن جهة المعنى فانه قوى صحيح جدا لم يقل امام بضعفه (وفى الحديث ايماء الى مزية اخرى للوالدين الكريمين ترشح ماسبق ومزية للاخ رضاعا حصلت له ببركته صلى الله عليه وسلم (واما ابوطالب فذهب الطبرى رحمه الله تعالى الى ان الحديث مأول فى حقه بالتخفيف كما فى مسالك الحنفاء وفيه انه ثبت التخفيف ايضا عن ابى لهب فقدنقل الزركشى فى الخادم عن ابن دحية انه جعل من انواع الشفاعات التخفيف عن ابى لهب فى كل يوم اثنين لسروره بولادة النبى صلى الله عليه وسلم واعتاقه ثويبة حين بشرته به قال وانماهى كرامة له صلى الله عليه وسلم (وفى شرح المواهب روى البخارى وعبدالرزاق والاسماعيلى عن قتادة ان ثويبة مولاة ابى لهب كان ابولهب اعتقها فارضعت النبى صلى الله عليه وسلم فلما مات ابولهب اريه بعض اهله بشر حيبة والرائى له كما ذكره السهيلى اخوه العباس رضى الله عنه فقال له ماذالقيت

قوله بشر حيبة الحيبة بحاء مهملة مكسورة وتحتية ساكنة وموحدة مفتوحة سوء الحال انتهى منه

فقال لم الق بعدكم راحة غير انى سقيت فى هذه واشار برأس اصبعه واشار الى ان ذلك باعتاقى لثويبة حين بشرتنى بولادة النبى صلى الله عليه وسلم وبارضاعها له قال الحافظ ابن الجزرى رحمه الله تعالى فاذا كان هذا الكافر الذى نزل القرآن بذمه جوزى بفرحه ليلة مولد النبى صلى الله عليه وسلم فاحال الموحد من امته يسر بمولده ويبذل ماتصل اليه قدرته فى محبته صلى الله عليه وسلم انتهى وعليه فقدقيل

* اذاكان هذا كافر جاء ذمه * وتبت يداه فى الجحيم مخلدا *
* وقدصح فى هذا الاثنين دائما * يخفف عنه للسرور باحمدا *
* فما الظن بالعبد الذى طول عمره * باحمد مسرور ومات موحدا *

(وانا اقول فاذا كان هذا الكافر المجمع على كفره واذيته للنبى صلى الله عليه وسلم خفف عنه العذاب فما بالك بمن اختلف فى كفره مع الاتفاق على انه كان شديدا فى حبه وحمايته له صلى الله عليه وسلم كما سيأتى تأمل (ثم انما يتمشى تأويل الطبرى على القول بجواز حمل المطلق كحديث تمام على المقيد كحديث البخارى الوارد فى التخفيف عن ابى طالب وهو خلاف مااختاره المحققون من الاصوليين من ان المطلق يبقى على اطلاقه والمقيد على تقييده فالشفاعة حينئذ يعلمها الله ورسوله (ويحتمل ان تكون الاخراج من النار على قول من قال انه مات مسلما (فقد ذكر السهيلى كما فى شرح المواهب انه رأى فى بعض كتب المسعودى ان ابا طالب اسلم عند الموت (وروى ابن اسحاق ان اباطالب اسلم عند الموت ونقلها عنه الحافظ ابن سيد الناس فى العيون (ورواية ابن اسحاق كما فى شرح المواهب انه صلى الله عليه وسلم كان يقول له عند موته ياعم قل لا اله الا الله كلمة استحل لك بها الشفاعة يوم القيمة فلما رأى ابو طالب حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانه قال له يا ابن اخى لولا مخافة قريش انى انما قلتها جزعا من الموت لقلتها لا اقولها الا لاسرك بها

فلما تقارب من ابی طالب الموت نظر العباس اليه يحرك شفتيه فاصغى اليه باذنه فقال يا ابن اخی والله لقد قال اخی الكلمة التی امرته بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم اسمعه وذهب الجمهور الى انه مات كافرا كما فی البيضاوی وحواشيه كالشهاب وسنان افندی واطلقوا القول بذلك غير ان الحافظ ابن حجر ذكر ان الاقتصار فی الطلب على لا اله الا الله محتمل لان يكون ابو طالب كان يتحقق انه رسول الله ولكن كان لا يقر بتوحيد الله فاذا اقر لم يتوقف على الشهادة له بالرسالة واستدل ببعض ابيات النونية

* ودعوتنی وعلمت انك صادق * ولقد صدقت وكنت ثم امينا *

(وذكر العلامة القرافی فی شرح التنقيح ان ابا طالب من القسم الذی آمن بظاهره وباطنه الا انه كفر بعدم الاذعان للفروع لما حكی عنه انه كان يقول انی لأعلم ان ما يقوله ابن اخی لحق ولولا انی اخاف ان تعيرنی نساء قريش لاتبعته وفی شعره يقول

* لقد علموا ان ابننا لا مكذب * يقينا ولا يعزى لقول الاباطل *

قال القرافی فهذا تصريح باللسان واعتقاد بالجنان غير انه لم يذعن يعنی للفروع كما مر ويشهد لما قاله الحافظ ابن حجر والعلامة القرافی رحمهما الله جمل كثيرة ذكرها العلامة الزرقانی نقلا عن الثقات من اقوال ابی طالب (فمنها ما اخرجه ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال ما ملخصه قدمت مكة وقريش فی قحط مختلفين فيمن يذهبون اليه فاتفق رأيهم فی الذهاب الى ابی طالب فوصلوا اليه وسألوه الاستسقاء فخرج ابو طالب ومعه غلام هو النبی صلى الله عليه وسلم فأخذه ابو طالب فالصق ظهره بالكعبة واشار الغلام بأصبعه وما فی السماء قطعة من السحاب فاقبل السحاب من ههنا وههنا واغدق وانفجر له الوادی واخصب النادی والبادی انتهى (فانظر الى ابی طالب لم يلتجئ الا الى الله ولم يتوسل الا بالنبی صلى الله عليه وسلم عند بيته المعظم (ومنها ما قاله لقريش حين اجمعت على اذى النبی

قوله جلهمة هو بضم الجيم وتفتح وعرفطة بضم العين والفاء بعدهما طاء مهملة انتهى سعد

صلى الله عليه وسلم ونفروا عنه من يريد الاسلام بذكرهم نعمة النبی صلى الله عليه وسلم عليهم

وابيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم * فهم عنده فی نعمة وفواضل

(وهذه القصيدة اللامية هی لابی طالب على الصواب (فقد اخرج البيهقی عن انس رضی الله عنه (قال جاء اعرابی الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اتيناك وما لنا صبی يغط ولا بعير يئط وانشد ابياتا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه الى السماء ودعا فما رد يديه حتى التقت السماء بأبراقها وجاؤا يضجون الغرق فضحك النبی صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله در ابی طالب لو كان حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال علی كرم الله وجهه يا رسول الله كأنك تريد قوله وابيض يستسقى الغمام وذكر ابياتا فقال صلى الله عليه وسلم اجل فهذا نص صريح فی ان ابا طالب هو المنشئ لهذه القصيدة كما نبه عليه الزرقانی معزيا لشرح الهمزية وهذه القصيدة ربما تزيد على المائة حتى قيل لا يدری منتهاها ولنذكر جملة منها تشهد لما نحن فيه قال

* أعبد مناف انتم خير قومكم * فلا تشركوا فی امركم كل واغل *
* وقد خفت ان لم يصلح الله امركم * تكونوا كما كانت احاديث وائل *
* اعوذ برب الناس من كل طاعن * علينا بسوء او ملح بباطل *
* ومن كاشح يسعى علينا بعيبة * ومن ملحد فی الدين ما لم نحاول *
* وبالبيت حق البيت فی بطن مكة * وبالله ان الله ليس بغافل *

قوله وما لنا صبی يغط ولا بعير يئط فی المصباح غط الجمل يغط من باب ضرب غطيطا صوت فی شقشقة فان لم يكن فی شقشقة فهو هدير واما الناقة فانها تهدر ولا تغط وغط النائم يغط غطيطا ردد نفسه صاعدا الى حلقه حتى يسمعه من حوله وفی القاموس اط الرجل يئط اطيطا صوت والابل انت تعبا وحنينا وفيه الشقشقة بكسر الشينين المعجمتين بينهما قاف ساكنة بعدهما قاف مفتوحة هی شئ كالراق يخرجه البعير من فيه اذا هاج انتهى سعد

* كذبتم وبيت الله نبزى محمدا *
* ولما نطاعن دونه ونناضل *
* ونسلمه حتى نصرع حوله *
* ونذهل عن ابنائنا والحلائل *
(الى ان قال)
* لعمرى لقد كلفت وجدا بأحمد *
* واحببته دأب المحب المواصل *
* فمن مثله فى الناس اى مؤمل *
* اذا قاسه الحكام عند التفاضل
* حليم رشيد عاقل غير طائش *
* يوالى الها ليس عنه بغافل *
* فو الله لولا ان اجئ بسبة *
* تجر على اشياخنا فى المحافل *
* لكنا اتبعناه على كل حالة *
* من الدهر جدا غير قول التهازل *

(وقوله على كل حالة هذا مؤيد لما نقلناه عن القرافى رحمه الله تعالى من ايمانه ظاهرا وباطنا غير انه لم يذعن للفروع لانه لم يعمل بها ولم يجهر بكلمة التوحيد يدلك عليه قوله لولا ان اجئ بسبة فتبين بهذا انه لم يكن متبعا فى كل حالة (وقال المحقق مولانا الاستاذ نفعنا الله به فى حديث البخارى عند قوله صلى الله عليه وسلم قل كلمة الحديث فيه اشارة الى ان الايمان متمكن من قلب ابى طالب وانما اراد منه صلى الله عليه وسلم الاعلان به ويدل عليه لفظ قل (اقول ويساعده اقواله وافعاله الجميلة (وقد ورد فى الاحاديث الصحيحة فى البخارى وغيره انه لايبقى فى النار من كان فى قلبه مثقال حبة خردل من ايمان بل ادنى ادنى مثقال حبة من خردل من ايمان تأمل (ولعل الحكمة فى عدم جهره بذلك هى ردعه للمشركين والذب

عن النبى صلى الله عليه وسلم واما الايمان فمتمكن فى قلبه (ويرشحه ماقاله لاشراف قريش حين حضرته الوفاة يامعشر قريش انتم صفوة الله من خلقه واوصيكم بتعظيم هذه البنية فان فيها مرضاة للرب وبصلة الرحم وبترك البغى والعقوق وذكر اشياء كثيرة من هذا القبيل الى ان قال وانى اوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين فى قريش وهو الجامع لكل مااوصيتكم به وقد جاءنا بامر قبله الجنان وانكره اللسان مخافة الشنآن الى ان قال يامعشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لايسلك احد سبيله الا رشد ولايأخذ احد بهديه الا سعد وماقاله لقريش ايضا حين نزل قوله تعالى فاصدع بما تؤمر فجهر النبى صلى الله عليه وسلم بعد ان كان مستخفيا حتى عاب آلهتهم فاجمعوا على عداوته فاشتد الامر الى ان اهريق الدم فاجتمعت قريش عند ابى طالب فأتوه بعمارة ابن الوليد ليتخذه ولدا ويعطيهم النبى صلى الله عليه وسلم ليقتلوه (فقال ابو طالب هذا والله لايكون ابدا وقال شعرا فى النبى صلى الله عليه وسلم تطمينا له

* والله لن يصلوا اليك بجمعهم *
* حتى اوسد فى التراب دفينا *
* فاصدع بامرك ماعليك غضاضة *
* وابشر وقر بذاك منك عيونا *
* ودعوتنى وزعمت انك ناصحى *
* ولقد صدقت وكنت ثم امينا *
* وعرضت دينا لا محالة انه *
* من خير اديان البرية دينا *
* لولا الملامة او حذارى سبة *
* لوجدتنى سمحا بذاك مبينا *

(والحاصل ان اباطالب كان حبه للنبى صلى الله عليه وسلم فطريا غريزيا حتى كان يفديه باولاده وبنفسه (فقد روى ابو نعيم

قوله مخافة الشنآن الشنان كسحاب ومعناه البغض انتهى منه

وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما (قال كان ابوطالب يحب النبى صلى الله عليه وسلم حبا شديدا لايحب اولاده كذلك واذالاينام الا الى جنبه ويخرج به متى خرج (وذكر ابن اسحاق ان اباطالب كان عضدا وناصرا للنبى صلى الله عليه وسلم على قومه (فلما مات نالت قريش منه من الاذى مالم تطمع به فى حياته حتى قال ما نالتنى قريش شيأ اكرهه حتى مات ابوطالب كما نص عليه فى الفتح (وكان عليه الصلاة والسلام يسمى العام الذى مات فيه عام الحزن كما فى التقريب (ومما يرشح ذلك انه لما اجتمعت قريش على قتل النبى صلى الله عليه وسلم بسبب اسلام سيدنا عمر رضى الله عنه حازه ابو طالب فى الشعب مع بنى هاشم وكان فى تلك المدة يأمر النبى صلى الله عليه وسلم ان ينام على فراشه كل ليلة حتى يراه من اراد به شرا فاذانام الناس امر احد بنيه بالاضطجاع على فراش المصطفى صلى الله عليه وسلم وامره ان يأتى بعض فرشهم فيرقد عليها وفى هذا القدر كفاية (تنبيهان) الاول قد دلت احاديث الامتحان التى ذكرناها اول الباب على انه يقع التكليف يوم القيمة فى الجملة وعلى ان الطاعة هنالك نافعة كما ان المعصية ضارة ثم رأيته منصوصا عليه فى اليواقيت والجواهر لعلامة زمانه فى العلم الظاهر والباطن سيدى عبد الوهاب الشعرانى نفعنا الله تعالى به وعزاه لبعض المحققين من ان يوم القيمة برزخى له وجه الى الدنيا ووجه الى الآخرة (وذكر ان اهل الاعراف يسجدون يوم القيمة فيرجح ميزانهم بتلك السجدة ثم يدخلون الجنة فلولا ان هذه السجدة نفعتهم وسعدوا بها لم يدخلوا الجنة انتهى (ورأيت على هامش البيضاوى معزيا لمعالم التنزيل اختلفوا فى الرجال الذين اخبر الله عنهم انهم على الاعراف فقال حذيفة وابن عباس رضى الله عنهم هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار فوقفوا هنالك حتى

يقضى الله تعالى فيهم ما يشاء ثم يدخلون الجنة بفضل رحمته وهم آخر من يدخل الجنة تأمل والله ولى التوفيق (الثانى لا ينبغى ان يختلج فى وهم متوهم ان الدليل على عدم اذعان ابى طالب هو قوله آخرا على ملة عبد المطلب بعد ان قال له صلى الله عليه وسلم قل كلمة احاج لك بها عند الله كما فى صحيح البخارى رحمه الله تعالى بل الامر كما قال سنان افندى محشى البيضاوى عند قوله بان ماتوا على الكفر فى تفسير قوله تعالى ما كان للنبى والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الآية ونص عبارته ثم ان موتهم على الكفر انما تبين بالاستصحاب فانهم لما اتصفوا بالكفر ولم يصدر منهم مايدل على ايمانهم الى حين موتهم عرفنا بحكم الاستصحاب انهم ماتوا على الكفر (انتهى فالدليل حينئذ على عدم اذعانه هو عدم اجابته بما امر به وهو لا اله الا الله فتنبه وانما لم يكتف بقوله على ملة عبد المطلب لابائه ظاهرا فى آخر حياته عما طلب منه ولان هذا بعد نسخ جميع الشرائع بالشريعة المحمدية فليس فى الحديث مايدل على ان عبد المطلب كان مشركا كما افاده الزرقانى ولا فيما رواه البزار والنسائى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة رضى الله تعالى عنها وقد عزت قوما من الانصار عن ميتهم لعلك بلغت معهم الكداء قلت لا قال لو كنت بلغت معهم الكداء ما رأيت الجنة حتى يراها جد ابيك لان الجد لايتعين فى عبد المطلب ولا فى الجد النبى كما لا يخفى ولان هذا الحديث رواه ابو داود ولم يذكر فيه حتى يراها جد ابيك كما فى شرح المواهب وعلى فرض ثبوته فقد ذكر مولانا الجد المرحوم العلامة محمد افندى بالى فى مجموعته معزيا لحاشية على النسائى للحافظ السيوطى نور الله مرقدهما ان غاية مايدل عليه الحديث المذكور انه لو بلغت معهم الكداء لم ترى الجنة مع السابقين لاجل الكبيرة وهى ذهابها مع الجنازة الى المقابر ثم يؤل امرها الى دخول الجنة قطعا ويكون عبد المطلب

قوله الكداء الكداء بالمد وفتح الكاف هو اسم للثنية العليا باعلا مكة ممنوع من الصرف بألف التأنيث الممدودة وتسمى تلك الناحية ايضا المعلا ولعل تلك الحادثة كانت بمكة المشرفة بخلاف الكدا بضم الكاف مقصورا اسم موضع باسفل مكة انتهى منه

كذلك لا يرى الجنة مع السابقين بل يتقدم ذلك الامتحان و يكون
معنى الحديث لم ترى الجنة حتى يجيء الوقت الذى يراها فيه
عبد المطلب فتريتها حينئذ فتكون رؤيتك لها متأخرة عن رؤية
غيرك من السابقين هذا مدلول الحديث على قواعد اهل السنة
لا معنى له غير ذلك على قواعدهم انتهى (اقول معنى قوله
على قواعد اهل السنة ان الكبيرة عندهم لا توجب الخلود
فى النار خلافا للمعتزلة وقوله بل يتقدم ذلك الامتحان فيه نظر
لما نص عليه هو بنفسه فى رسائله وعليه جم عظيم من ائمة الدين
ان آباء النبى صلى الله عليه وسلم كلهم كانوا موحدين (وايضا
قد ذكرنا فى هذا الباب معزيا لمسالك الحنفاء ان جماعة تحنفوا
فى الجاهلية بالملة الحنفية ومنهم عبد المطلب فلا داعى للامتحان
حينئذ (ولو فرض ذلك فمن الظن ان عبد المطلب يدخل الجنة
مع السابقين كرامة للنبى صلى الله عليه وسلم (ومما يدل على اسلام
عبد المطلب خصوصا وعموما ما سيأتى ان شاء الله تعالى
(منها ما رواه البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه مرفوعا
بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من القرن الذى
كنت فيه (وما رواه مسلم واصطفى من قريش بنى هاشم ومن المعلوم
ان الخيرية والاصطفاء لا يكونان مع الشرك وفى التنزيل ولعبد
مؤمن خير من مشرك وقال صاحب الاصابة ذكر ابن السكيت
ان عبد المطلب من الصحابة كبحيرى الراهب وامثاله ممن مات
قبل البعثة لما جاء عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم سيبعث انتهى
(قلت افعل التفضيل فى الآية الكريمة على غير بابه فالمراد
اصل الفعل لان المشرك لا خير فيه اصلا كيف وقد جعلوا نجسا
قال تعالى انما المشركون نجس والنجس لا يكون مصطفى
ولا خيرا (وفى شرح المواهب ومما يؤيد القول باسلام عبد المطلب
ان النبى صلى الله عليه وسلم انتسب اليه يوم حنين فقال انا ابن
عبد المطلب وهذا من جملة ما استدل به العلماء على ايمانه

قوله من خير قرون بنى آدم الخ. القرن لغة يطلق على الزمان وعلى اهل زمان واحد وعلى امة بعد امة وعليه قوله صلى الله عليه وسلم بعثت من خير قرون بنى آدم الحديث والمعنى انه صلى الله عليه وسلم بعث من خير طوائف بنى آدم طائفة فطائفة حتى بعث من الطائفة التى كان فيها انتهى منه

(قال فى مسالك الحنفاء وهذا من اقوى ما تقوى به مقالة الفخر
ومن وافقه لان الاحاديث وردت فى النهى عن الانتساب الى الآباء
الكفار (روى البيهقى فى الشعب عن ابى بن كعب ومعاذ بن جبل
رضى الله عنهما ان رجلين انتسبا على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال احدهما انا فلان بن فلان انا فلان بن فلان وقال
الآخر انا فلان بن فلان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انتسب
رجلان على عهد موسى فقال احدهما انا فلان بن فلان الى تسعة
وقال الآخر انا فلان بن فلان ابن الاسلام فاوحى الله تعالى الى موسى
عليه السلام قل لهذين المنتسبين اما انت ايها المنتسب الى تسعة آباء
فى النار فانت عاشرهم فى النار واما انت ايها المنتسب الى اثنين فى الجنة
فانت ثالثهما فى الجنة (وروى البيهقى ايضا عن ابى ريحانة عن النبى
صلى الله عليه وسلم قال ومن انتسب الى تسعة آباء كفار يريد بهم عزا
او شرفا فهو عاشرهم فى النار (وروى البيهقى ايضا عن ابن عباس
رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تفتخروا بآبائكم
الذين ماتوا فى الجاهلية فوالذى نفسى بيده لما يدحرج الجعل
بانفه خير من آبائكم الذين ماتوا فى الجاهلية وروى البيهقى ايضا
عن ابى هريرة نحوه (وفى حديث مسلم انه نهى صلى الله عليه وسلم
عن الفخر بالاحساب وانه من امر الجاهلية انتهى (قلت فقد اتضح
ان عبد المطلب كان موحدا قطعا والا لم ينتسب اليه صلى الله عليه
وسلم خصوصا فى ذلك الموضع والحمد لله (فان قلت حديث
مسلم يفيد النهى عن الفخر بالاحساب مطلقا سواء كان الآباء
كفارا او مسلمين فما الجواب عن حديث انا ابن عبد المطلب وامثاله
(قلت نعم الحديث صريح فى النهى عن الفخر بالاحساب (ولكن
لم يرده صلى الله عليه وسلم كما صرح به السيوطى معزيا للحليمى
وكذا يقال فى كل احاديث الانتساب كحديث انا خيركم نفسا
وخيركم ابا وانما اراد صلى الله عليه وسلم بذلك تعريف منازل آبائه
الكرام كرجل يقول كان ابى عالما لا يريد بذلك الفخر وانما يريد

قوله الى تسعة اباء من المعلوم ان العدد لا مفهوم له فالمراد الانتساب الى الكافر انتهى منه

قوله الجعل هو كصرد بضم الجيم وفتح العين المهملة اسم لدويبة وهو المشهور بين الناس بابى جعران انتهى منه

تعريف حاله (ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم اراد التحدث بنعمة الله تعالى عليه وعلى كل فليس ذلك من الفخر فى شئ (ومما يدل على توحيد عبد المطلب قصة حفر زمزم وهى مبسوطة فى كتب السير وخلاصتها كما فى المواهب وشرحها ان عبد المطلب لما اراد حفر زمزم لم يكن له من الذكور الا الحارث فنذر ان رزقه الله عشرة من الذكور ليذبحن واحدا منهم عند الكعبة ثم احتفر زمزم فى عامه ذلك هو وابنه الحارث فقط ثم اعطاه الله تعالى ذلك المطلوب فرأى فى المنام قائلا يقول له اوف بنذرك فضرب القداح فخرجت على عبد الله فامتثل عبد الله لامر الله طائعا فلما اسلما وتله للجبين ضجت اخوته وسائر قريش ولم يلتفت اليهم من اول الامر عبد المطلب فعظم الاضطراب حتى استقر الامر على ان تضرب القداح على عشرة من الابل وعلى عبد الله ففعل فظهرت القرعة على عبد الله فزادوا عشرة ولم يزالوا كذلك حتى بلغت الابل مائة فظهرت القداح عليها فنحرت عند الكعبة (روى ابن سعد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانت الدية عشرا من الابل وعبد المطلب اول من سن دية النفس (مائة من الابل فجرت فى قريش والعرب مائة من الابل واقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا فى مسالك الحنفاء وقال صاحب الملل والنحل مما يدل على اثبات عبد المطلب المعاد والمبدأ انه حين ضرب القداح على ابنه عبد الله كان يقول يارب انت المالك المحمود وانت ربى الملك المعيد من عندك الطارف والتليد (ومما يدل على معرفته بحال الرسالة وشرف النبوة ان اهل مكة لما اصابهم الجدب امر اباطالب ان يحضر بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو صغير ففعل فاستسقى به صلى الله عليه وسلم (وفى طبقات ابن سعد باسانيده ان عبد المطلب قال لام ايمن لاتغفلى عن ابنى فانى وجدته مع غلمان قريبا من السدرة وان اهل الكتاب يقولون ان ابنى نبى هذه الامة كذا فى شرح المواهب

قوله القداح جمع قدح بكسر القاف وسكون الدال المهملة وبالخاء المهملة السهم قبل ان يراش وينصل انتهى منه

وحيث ثبت انه رضى الله عنه مؤمن بلا شبهة لم يمكن ان يحمل ابنه عبد الله على عبادة الاوثان وانما يحمله على اعتقاده وهو التوحيد لقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وأبواه الحديث (وقد خوطب صلى الله عليه وسلم بابن الذبيحين فتبسم صلى الله عليه وسلم ولم ينكر على من قال (روى الحاكم ان اعرابيا قال للنبى صلى الله عليه وسلم يابن الذبيحين فتبسم ولم ينكر عليه ويعنى بالذبيحين عبد الله واسماعيل ذكره العلامة نجم الدين الغيظى فى المولد الشريف وفى الملل والنحل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال انا ابن الذبيحين واراد اسماعيل وعبد الله انتهى فلعمر الله لقد تسنم الوالد الكريم ذروة المجد الاثيل حيث كان عديلا للنبى اسماعيل فقد دل الحديث على ايمان عبد الله اذ لولم يكن كذلك لما قرن اسمه باسم اسماعيل عليه السلام لانه ليس من الكمال لمطلق مؤمن ان يمزج اسمه مع اسم كافر فى كلمة واحدة فمن باب اولى خواص الخلق

(الباب الخامس)

فى بيان ان اصول النبى صلى الله عليه وسلم كلهم كانوا على التوحيد قد سلك جمع عظيم من ائمة الدين ان جميع آباء النبى صلى الله عليه وسلم وامهاته كانوا موحدين ولهم على ذلك ادلة شريفة من الكتاب والسنة والآثار واحاديث منيفة عن اولئك الاصول السادة الاخيار ولنظمها فى سلك عقود خمسة (الاول فيما ورد من الادلة العامة القاضية على جميعهم من لدن ابينا آدم الى عبد الله بالتوحيد (الثانى) فى الادلة الخاصة الحاكمة لمن بين آدم ونوح عليهما السلام بالتوحيد (الثالث) فى خصوص من بين نوح وابراهيم عليهما السلام (الرابع) فى خصوص من بين ابراهيم ونبينا عليهما الصلاة والسلام (الخامس) فيما نقله السلف من اخبار الاصول الكرام (العقد الاول) قال الله تعالى فى عزيز

كتابه مخاطبا لسيد الخواص من احبابه وتقلبك فى الساجدين (ذكر له الحبر ابن عباس رضى الله عنهما معنيين (احدهما تقلبك مع اهل الصلاة فى الركوع والسجود والقيام (والآخر تقلبك فى اصلاب ابائك المؤمنين الكرام وكلامنا فيه (قال الامام الفخر الرازى فى تفسيره شكر الله سعيه معناه انه صلى الله عليه وسلم كان ينتقل نوره من ساجد الى ساجد فالآية دالة على ان جميع آباء النبى صلى الله عليه وسلم كانوا مسلمين (اما الوالدان فقد كانا على ملة ابراهيم كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل (قال وقد استوفيت احوال اجداد سيد بنى قصى فوجدتهم مؤمنين بيقين وايده بقوله عليه الصلاة والسلام لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات (وقد قال تعالى انما المشركون نجس فوجب ان لا يكون احد من اصوله صلى الله عليه وسلم مشركا انتهى وعليه علماء الامة كالعلامة المحقق السنوسى والتلمسانى محشى الشفاء (ونقله العلامة الزرقانى فى شرح المواهب واقره وارتضاه الحافظ السيوطى فى المقامة السندسية وفى المسالك فقال وناهيك به امامة وجلالة فانه العالم المبعوث على رأس المائة السادسة ليجدد لهذه الامة امر دينها (وفيه قال الامام ابو الحسن الماوردى فى اعلام النبوة لما كان انبياء الله صفوة عباده وخيرته من خلقه لما كلفهم من القيام بحقه والارشاد للعباد استخلصهم من اكرم العناصر واجتباهم بمحكم الاواصر فلم يكن لنسبهم من قدح ولمنصبهم من جرح لتكون القلوب لهم اصغى والنفوس لهم اوطى وان الله استخلص رسوله من اطيب المناكح وحماه من دنس الفواحش ونقله من اصلاب طاهرة الى ارحام منزهة (وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما فى تأويل قول الله تعالى وتقلبك فى الساجدين اى تقلبك من اصلاب طاهرة من اب بعد اب الى ان جعلك نبيا فكان نور النبوة ظاهرا فى آبائه الكرام ثم لم يشركه فى ابويه اخ ولا اخت لكونه مختصا بنسب جعله الله للنبوة غاية

وقوله الاواصر بفتح الهمزة بعدها واو ثم صاد مهملة مكسورة بعدها راء مهملة على زنة عناصر جمع اصرة بفتح همزة وكسر صاد وفتح راء مهملتين واخره الرحم والقرابة انتهى مؤلف

ولتفرده نهاية واذا عرفت طهارة مولده علمت انه سلالة آباء كرام ليس فى آبائه مسترذل ولا مغموز مستبذل بل كلهم سادة قادة وشرف النسب وطهارة المولود من شروط النبوة وقال ابو جعفر النحاس فى معان القرآن فى قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين (روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال نقله فى الظهور حتى اخرجه نبيا انتهى (فان قلت) معنى الآية ترددك فى تصفح احوال المجتهدين فى العبادة مرة بعد اخرى كما قال البيضاوى وغيره (فقد روى انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع لها من دندنتهم بذكر الله تعالى (قلت) قد اجاب عنه الفخر الرازى بقوله واقصى ما فى الباب ان يحمل قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين على وجوه واذا وردت الروايات بكل ولا منافاة بينها وجب حمل الآية على الجميع انتهى (واقره الحافظ السيوطى فى المسالك وهو فى غاية الحسن والوضوح فلا وجه لاستدراك صاحب المواهب على هذا الامام بما ذكره القاضى البيضاوى ولذا قال الزرقانى فى الشرح وهذا التعقب كبيت العنكبوت اذ ليس فى كلام البيضاوى نفى لغير ما ذكره من التفسير ولا حكاية اجماع عليه بل قال بعد ما ذكر من التفسير المذكور تفسيرا آخر ان المراد بهم المصلون والرازى ايضا لم ينف التفسير الذى ذكره البيضاوى بل قال اقصى ما فى الباب حمل الآية على وجوه فتعقب صاحب المواهب باحد تفاسير اعترف بها هذا الامام واشار الى الجمع بينها مما لا يليق تسطيره على ان ما فسر به الرازى هو الاولى بالقبول فقد اخرج ابن سعد والبزار والطبرانى وابو نعيم عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين قال من نبى الى نبى ومن نبى الى نبى حتى اخرجتك نبيا ففسر تقلبه فى الساجدين بتقلبه فى اصلاب الانبياء قلت وهذا لا يليق بالفخر الامع حسن الوسائط و يساعده ما فى الفوائد

ان حمل الآية على اعم منهم وهم المصلون الذين لم يزالوا فى ذرية ابراهيم عليه السلام اوضح لانه ليس فى اجداده صلى الله عليه وسلم انبياء بكثرة بل اسماعيل وابراهيم ونوح وشيث وآدم وادريس فى قول انتهى (فان قلت) حمل الآية على جميع معانيها حقيقة ممنوع عند الحنفية لان استعمال المشترك اللفظى فى كل معانيه دفعة غير جائز عندهم كما فى كتب الاصول (قلت) نعم (ولكن فى الهداية جوازه فى النفى والذى حرره مولانا الاستاذ نفعنا الله به انه جائز مطلقا اذلا دليل على منعه ولا وجه لحصر الكلام القديم فى معنى واحد وهو مما لا يعقل فهذا هو الصواب الذى يجب اعتقاده وعليه بقية المذهب فما حرره الفخر هو الاولى بالقبول وبما ذكرناه تبين اضمحلال ماذكره ابوحيان من حصره القول بتوحيد الآباء فى الرافضة وانهم هم المستدلون بالآية الكريمة وتبعه فيه ابو المنتهى فى شرحه الفقه الأكبر كما مر وهؤلاء الائمة من اكابر اهل السنة قد استدلوا بها واستدل بها ايضا العلامة الطحطاوى فى حاشية الدر المختار ناقلا عن العلامة ابن حجر المكى فقال المراد بالساجدين مايعم الساجدات والمعنى انتقالك من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات (وممن استدل بها ايضا العلامة الامير فى حاشيته على مولد الدردير فقال وبالآباء الكرام فسر قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين فى بعض الآثار من نبى الى نبى حتى اخرجتك مصفى مهذبا فلم يكن فى آبائه ولا اجداده ولا امهاته ولا جداته شرك قط بل هم كرام موحدون انتهى (ولكن انما يتم بكلامنا السابق وقد شنع العلامة ابن حجر على ابى حيان ومن نقل عنه كما فى شرح المواهب حيث قال ناقل هذا الكلام عن ابى حيان لو كان له ادنى مسكة من علم اوفهم لتعقب قوله بان هذا الحصر باطل منك ايها النحوى البعيد عن مدارك الاصول والفروع فليتك ايها الناقل سكت عن ذلك ووقيت عرضك وعرضه عن رشق سهام

الصواب انتهى (وما ارشق قول الحافظ الدمشقى واعذبه فى استدلاله بالآية الكريمة حيث قال شعرا

تنقل احمد نورا عظيما * تلألأ فى جباه الساجدين
تقلب فيهم قرنا فقرنا * الى ان جاء خير المرسلين

هذا ماتيسر للضعيف من الكلام على الآية الكريمة بالنصوص والآثار ويرشحه ويقويه مايتلوه من الاحاديث الصحيحة والاخبار فقد روى البخارى رحمه الله تعالى فى صحيحه عن ابى هريرة رضى الله عنه قال (قال رسول صلى الله عليه وسلم بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من القرن الذى كنت فيه (وفسر العلامة الامير فى حاشيته القرن بالطائفة وفسره مولانا الاستاذ نفعنا الله به بالجيل عند قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم الحديث وهما متحدان معنى وان اختلفا فى اللفظ (واخرج البيهقى فى دلائل النبوة عن انس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ماافترق الناس فرقتين الا جعلنى الله من خيرهما فاخرجت من بين ابوى فلم يصبنى شئ من عهد الجاهلية وخرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت الى ابى وامى فانا خيركم نفسا وخيركم ابا (واخرج ابو نعيم فى دلائل النبوة من طرق عن ابن عباس رضى الله عنهما قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل الله ينقلنى من الاصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرة مصفى مهذبا لاتتشعب شعبتان الا كنت فى خيرهما (واخرج الطبرانى والبيهقى وابو نعيم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال ان الله خلق الخلق فاختار من الخلق بنى آدم واختار من بنى آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بنى هاشم واختارنى من بنى هاشم فانا من خيار الى خيار (واخرج الترمذى وحسنه والبيهقى عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال (قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم ان الله حين خلقنى جعلنى من خير خلقه ثم حين خلق القبائل جعلنى من خيرهم قبيلته وحين خلق الانفس جعلنى من خير انفسهم ثم حين خلق البيوت جعلنى من خير بيوتهم فانا خيركم بيتا وخيركم نفسا (واخرج الطبرانى والبيهقى وابو نعيم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلنى من خيرهما قسما ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلنى فى خيرها ثلثا ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلنى من خيرها قبيلة ثم جعل القبائل بيوتا فجعلنى من خيرها بيتا (واخرج مسلم والترمذى عن واثلة بن الاسقع رضى الله عنه قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم (وقد اخرجه الحافظ ابو القاسم حمزة بن يوسف السهمى فى فضائل العباس من طريق واثلة ابن الاسقع بلفظ ان الله اصطفى من ولد آدم ابراهيم واتخذه خليلا واصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل ثم اصطفى من ولد اسماعيل نزارا ثم اصطفى من ولد نزار مضر ثم اصطفى من مضر كنانة ثم اصطفى من كنانة قريشا ثم اصطفى من قريش بنى هاشم ثم اصطفى من بنى هاشم بنى عبد المطلب ثم اصطفانى من بنى عبد المطلب (واخرج الطبرانى فى الاوسط والبيهقى فى الدلائل عن عائشة رضى الله عنها قالت (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى جبريل قلبت الارض مشارقها ومغاربها فلم اجد رجلا افضل من محمد ولم اجد بنى اب افضل من بنى هاشم (قال الحافظ بن حجر نفعنا الله به فى اماليه لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن (ومن المعلوم ان الخيرية والاصطفاء والاختيار من الله تعالى والافضلية عنده لاتكون مع الشرك انتهى والكل من مسالك الحنفاء (وقد صرح الحافظ فيه انه تتبع

واستقرأ الامهات الكريمات بل امهات سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام فوجدهن مؤمنات (العقد الثانى فى الادلة الخاصة القاضية بالتوحيد لمن بين آدم ونوح عليهما السلام اخرج البزار فى مسنده وابن جرير وابن ابى حاتم وابن المنذر فى تفاسيرهم والحاكم فى المستدرك وصححه عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى كان الناس امة واحدة قال كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين وهو كذلك عند ابن مسعود رضى الله عنه فى الآية الكريمة (واخرج ابو يعلى والطبرانى وابن ابى حاتم بسند صحيح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى كان الناس امة واحدة قال على الاسلام كلهم (واخرج ابن ابى حاتم عن قتادة فى الآية قال ذكر لنا انه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الهدى وعلى شريعة من الحق ثم اختلفوا بعد ذلك فبعث الله نوحا وكان اول رسول ارسله الله الى الارض (واخرج ابن سعد فى الطبقات عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ما بين نوح الى آدم من الآباء كانوا على الاسلام (واخرج ابن سعد من طريق سفيان بن سعد الثورى قال كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام رواه الحافظ فى المسالك وقال فى المقامة السندسية معزيا للرازى انه لم يكن بين آدم ونوح نسمة جاحدة بالاستقراء واخرج العلامة الامير فى حاشيته ان شيث ومعناه هبة الله وكان وصى ابيه آدم عليهما السلام قام خطيبا فى اولاده ولم يمت حتى رأى من ولده وولد ولده اربعين الفا واوصى ولده انوش ومعناه الصادق ان لايضع هذا النور الذى كان يلمع فى وجه ابيه وجده كالشمس الا فى الطيبين الطاهرين الكرام الموحدين وكان ينتقل من جبهة كل كبير آخر عمره الى اكبر اولاده فيتوارثون الوصية المذكورة كما يتوارثون النور (العقد الثالث فى الادلة على التوحيد المختصة بمن بين نوح وابراهيم عليهما السلام قال الله

تعالى فى كتابه العزيز حكاية عن نوح عليه السلام رب اغفرلى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا (قال الحافظ السيوطى ان سام من اولاد نوح مؤمن بالنص والاجماع لانه كان مع ابيه فى السفينة ولم ينج فيها الا مؤمن وفى التنزيل وجعلنا ذريته هم الباقين بل ورد فى اثاره كان نبيا اخرجه ابن سعد فى الطبقات والزبير ابن بكار فى الموفقيات وابن عساكر فى تاريخه عن الكلبى وولد سام ارفخشد صرح بايمانه عن ابن عباس رضى الله عنهما اخرجه ابن عبد الحكم فى تاريخ مصر وفيه انه ادرك جده نوحا وانه دعا له ان يجعل الله الملك والنبوة فى ولده ومن ارفخشد الى تارخ ورد التصريح بايمانهم (قلت) ينبغى ان تكون الغاية داخلة فى المغيا لما سيأتى قريبا فيكون تارخ من جملة من صرح بايمانهم (فقد اخرج ابن سعد فى الطبقات من طريق الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما ان نوحا عليه السلام لما هبط من السفينة هبط الى قرية فبنى كل رجل منهم بيتا فسميت سوق الثمانين وقد غرق بنوا قابيل كلهم ومابين نوح الى آدم كانوا على الاسلام فلما كثروا ضاقت بهم سوق الثمانين فتحولوا الى بابل فبنوها فكثروا فيها حتى بلغوا مائة الف وهم على الاسلام ثم لم يزالوا على الاسلام وهم ببابل حتى ملكهم نمرود بن كوش ابن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام فدعاهم نمرود الى عبادة الاوثان ففعلوا (قال الحافظ فعرف من مجموع هذه الآثار ان اجداد النبى صلى الله عليه وسلم من عهد آدم الى زمن نمرود كانوا مؤمنين بيقين وفى زمانه كان ابراهيم عليه السلام انتهى (واقول فعلم من هذا ان من بين نوح وابراهيم عليهما السلام من الاصول الكرام مؤمنون بيقين وبقى الكلام على آزر فان كان هو الاب حقيقة كما ذهب اليه بعض العلماء فيستثنى من سلسلة النسب الطاهر والراجح انه كان عمه كما قال اخرون واطلق عليه لفظ الاب مجازا وهو شائع لغة وشرعا فلا استثناء وهذا هو الصواب وعليه

المعول واعتمده المحققون منهم الامام الفخر والامام الماوردى والحافظ السيوطى والشهاب الهيثمى وارتضاه العلامة الزرقانى وغيره وكفى بهم حجة وان شئت الاستقصاء فراجع وفتش وعلى صحة ذلك شواهد من القرآن المجيد والحديث الشريف واقوال السلف واهل اللغة كما سيتضح ذلك ان شاء الله تعالى ولذا ذكر فى شرح المواهب ان الدليل على ان آزر عم ابراهيم عليه السلام لا ابوه ظاهر كالشمس فقد صرح الشهاب الهيثمى بان اهل الكتابين والتاريخ اجمعوا على انه لم يكن اباه حقيقة وانما كان عمه والعرب تسمى العم ابا كما جزم به الفخر بل صريح القرآن يساعده قال تعالى واله آبائك ابراهيم واسماعيل مع انه عم يعقوب لا ابوه بل لو لم يجمعوا على ذلك وجب تأويله بهذا جمعا بين الاحاديث قال واما من اخذ بظاهره كالبيضاوى فقد استروح وتساهل انتهى وقال فى الدرج المنيفة الارجح ان آزر عم ابراهيم عليه السلام كما قال الرازى لا ابوه وقد سبقه الى ذلك جماعة من السلف فروينا بالاسانيد عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج والسدى قالوا ليس آزر ابا ابراهيم عليه السلام انما هو ابراهيم ابن تارخ وقد وقفت على تاريخ لابن المنذر صرح فيه بانه عمه قال الزرقانى رحمه الله تعالى ونفعنا به وبه تعلم ما تحامل به بعض المتأخرين جدا فخطأ من قال انه عمه وزعم انه قول الرافضة فتخطئته هى الخطأ وحصره القول به فى الشيعة هو صنو قول ابى حيان وقدم رده واما زعمه اتفاق المفسرين على ان والد ابراهيم كان كافرا فباطل كيف وقد قال اولئك السلف انه عمه وجزم به الرازى واعتمده حافظ السنة فى عصره وايده بما لا محيص عنه ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار انتهى (قلت) هذا مع ما سبق للشهاب من الرد على ابى حيان اغنانى عن الكلام هنا مع ابى المنتهى شارح الفقه الاكبر فان عبارته وان لم تكن صريحة فى ذلك لكنها تجر بذيلها الشنيع على سائر الاصول تنبه وما كفاه ذلك حتى تزاد نغمة اخرى

حيث جعل مانسب من العبارة فى الفقه الاكبر للامام ترسا لمقالته الشنيعة فلاحول ولاقوة الا بالله قال عليه الصلاة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت ومعاذ الله ان ذلك الامام الكبير يقول بذلك كيف وقد وصفه صلى الله عليه وسلم بالخيرية فى مضمون قوله خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم الحديث فهلا صمت هذا الشيخ اونظر الى سبيل النجاة واتبع هدى المسالك فسلم من السقوط فى المهالك

شعر

* اذالم تستطع شيأ فدعه * وجاوزه الى ماتستطيع *

شعر آخر

* وللشيخ آيات اذالم تكن له * فماهو الا فى ليالى الهوى يسرى *
* اذالم يكن علم لديه بظاهر * ولاباطن فاضرب به لجج البحر *

ونزيدك وضوحا لكون آزر عم ابراهيم عليه السلام لا ابوه بما اخرج ابن المنذر بسند صحيح عن ابن جريج فى قوله تعالى واذقال ابراهيم لابيه آزر قال آزر ليس بابيه انما هو ابراهيم ابن تيرخ اوتارخ وبما اخرج ابن ابى حاتم بسند صحيح عن السدى رحمه الله تعالى انه قيل له اسم ابى ابراهيم آزر فقال بل اسمه تارخ ويرشحه مااخرجه ابن المنذر فى تفسيره بسند صحيح عن سليمان بن صرد قال لما ارادوا ان يلقوا ابراهيم فى النار جعلوا يجمعون الحطب حتى ان كانت العجوز لتجمع الحطب فلما ارادوا ان يلقوه فى النار قال حسبى الله ونعم الوكيل فلما القوه قال الله تعالى يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم فقال عم ابراهيم من اجلى دفع عنه فارسل الله عليه شرارة من النار فوقعت على قدمه فاحرقته فقد صرح فى هذا الاثر بعم ابراهيم عليه السلام (قال الحافظ السيوطى وفيه فائدة اخرى وهو انه هلك فى ايام القاء ابراهيم فى النار وقد اخبر الله تعالى فى القرآن المجيد بان ابراهيم ترك الاستغفار له لما تبين له انه عدو لله وورد فى الآثار ان ذلك تبين له لما مات

مشركا وانه لم يستغفر له بعد ذلك اخرج ابن ابى حاتم بسند صحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال مازال ابراهيم يستغفر لابيه حتى مات فلما مات تبين له انه عدو لله فلم يستغفر له (واخرج ابن ابى حاتم عن محمد بن كعب وقتادة ومجاهد والحسن وغيرهم قال كان يرجوه فى حياته فلما مات على شركه تبرأ منه ثم هاجر ابراهيم عقب واقعة النار الى الشام كما نص الله على ذلك فى القرآن يعنى ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين قال ثم بعد مدة من مهاجرته دخل مصر واتفق له فيها مع الجبار مااتفق بسبب سارة واخدمه هاجر ثم رجع الى الشام ثم امره الله تعالى ان ينقلها وولدها اسماعيل الى مكة فنقلهما ودعا فقال ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة الى قوله ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب فاستغفر لوالديه وذلك بعد هلاك عمه بمدة طويلة فيستنبط من هذا ان المذكور فى القرآن بالكفر والتبرى من الاستغفار له هو عمه لا ابوه الحقيق (روى ابن سعد فى الطبقات عن الكلبى قال هاجر ابراهيم من بابل الى الشام وهو يومئذ ابن سبع وثلاثين سنة فاتى حران فاقام بها زمنا ثم رجع الى الشام فنزل السبع ارضا بين ايلياء وفلسطين ثم ان بعض اهل البلد آذوه فتحول من عندهم فنزل منزلا بين الرملة وايلياء (وروى ابن سعد عن الواقدى قال ولد لابراهيم اسماعيل وهو ابن تسعين سنة فعرف من هذين الاثرين ان بين هجرته من بابل عقب واقعة النار وبين الدعوة التى دعا بها بمكة نيفا وخمسين سنة فافهم ولله الحمد على ماالهم فقد تحقق بما قررناه عن الصحابة وغيرهم ان الاصول الكرام من عهد آدم الى ابراهيم عليهما السلام مؤمنون بلاشبهة (وذكر صاحب القاموس فى باب الراء ان آزر كهاجر اسم عم ابراهيم عليه السلام واما ابوه فاسمه تارح وذكر قبله فى باب الحاء المهملة ان تارح كآدم ابو ابراهيم انتهى (وقدمر

قوله السبع بفتح السين المهملة وسكون الباء الموحدة انتهى
منه

ان العرب تطلق الاب على العم اطلاقا شائعا كما نص عليه الحافظ والمحقق الساجقلى قال تعالى ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق فاطلق على اسماعيل لفظ الاب مع انه عم يعقوب كما اطلق على ابراهيم وهو جده (اخرج ابن ابى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما انه كان يقول الجد اب ويتلو الآية واخرج عن ابى العالية فى تفسير الآية قال سمى العم ابا واخرج عن محمد بن كعب القرظى قال الخال والد والعم والد وتلى الآية فهذا القرآن واقوال الصحابة والتابعين واهل اللغة اتفقت على تسمية العم ابا فقد اتضح الحال وطاح الاشكال واضاءت شموس تلك الادلة اضاءة ذكاء فى منتصف النهار وماذا بعد الحق الا الضلال ولكنها لا تعمى الابصار (تنبيه قد استفيد مما تقدم ان تارح لم يدرك زمن نمرود فعلى ما تقرر ومن اقوال السلف تحرر ان ابا الخليل وهو تارح كان مؤمنا بيقين ولعل هذا هو السر فى التصريح بازر فى الكلام القديم تدبر (العقد الرابع قال الحافظ ثم استمر التوحيد فى ولد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام الى زمن عمرو بن لحى (وذكر صاحب الملل والنحل انه كان دين ابراهيم قائما والتوحيد فى صدور العرب شائعا واول من غير واتخذ عبادة الاصنام عمرو بن لحى (وفى طبقات ابن سعد ان العرب لم يكفر منهم احد من زمن ابراهيم الى عهد عمرو بن لحى كما فى الاحاديث الصحيحة فى البخارى وغيره (اخرج البخارى ومسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن عامر الخزاعى يجر قصبه فى النار كان اول من سيب السوائب (واخرج الامام احمد فى مسنده عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان اول من سيب السوائب وعبد الاصنام ابو خزاعة عمرو بن عامر وانى رأيته يجر امعاءه فى النار واخرج

ابن اسحاق وابن جرير فى تفسيره عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه فى النار انه اول من غير دين ابراهيم فنصب الاوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامى (واخرج البزار فى مسنده بسند صحيح عن انس رضى الله عنه قال كان الناس بعد اسماعيل عليه السلام على الاسلام وكان الشيطان يحدث الناس بالشئ يريد ان يردهم عن الاسلام حتى ادخل عليهم فى التلبية لبيك اللهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك قال فما زال حتى اخرجهم عن الاسلام الى الشرك وذكر السهيلى ان ذلك كان على يد عمرو بن لحى حين خرجت جرهم من مكة بغلبة خزاعة عليها وذكر نحوه ابن اسحاق وزاد فبينا عمرو يلبى تمثل له الشيطان فى صورة شيخ يلبى معه فقال الا شريك هو لك فانكر عليه عمرو فقال الشيخ قل تملكه وما ملك فانه لا بأس بهذا فتبعه عمرو ودانت بها العرب (وذكر الحافظ ابن كثير ان العرب كانوا على دين ابراهيم عليه السلام الى ان انتزع عمرو ولاية البيت من اجداد النبى صلى الله عليه وسلم وذكر نحو ما تقدم الى ان قال وفيهم بقايا على دين ابراهيم وكانت مدة ولاية خزاعة وهى ولاية مشؤمة ثلاثمائة سنة الى ان جاء قصى جد النبى صلى الله عليه وسلم فقاتلهم وانتزع ولاية البيت منهم (فثبت ان آباء النبى صلى الله عليه وسلم من عهد ابراهيم الى زمن عمرو الشقى كلهم مؤمنون بلا ريب وقول ابن كثير وفيهم بقايا على دين ابراهيم ينبغى اختصاصها باولاد اسماعيل عليه السلام لا غير ويشهد لذلك آيات وآثار قال جل ثناؤه واذ قال ابراهيم لابيه وقومه اننى برىء مما تعبدون الا الذى فطرنى فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية فى عقبه (اخرج عبد بن حميد فى تفسيره بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى وجعلها كلمة باقية فى عقبه لا اله الا الله باقية فى عقب ابراهيم

(واخرج ايضا معا ابن جرير وابن المنذر عن مجاهد مثله (وقال ايضا حدثنا يونس عن شيبان عن قتادة فى تفسير ذلك قال شهادة ان لا اله الا الله والتوحيد لا يزال فى ذريته من يقولها من بعده (وقال عبد الرزاق فى تفسيره عن معمر عن قتادة فى وجعلها كلمة باقية فى عقبه (قال الاخلاص والتوحيد لا يزال فى ذريته من يعبد الله ويوحده واخرجه ابن المنذر زاد وقال ابن جريج فلم يزل بعد من ذرية ابراهيم من يقول لا اله الا الله وقال ايضا فلم يزل ناس من ذريته على الفطرة يعبدون الله حتى تقوم الساعة واخرج عبد بن حميد عن الزهرى فى الآية قال العقب ولده الذكور والاناث واولاد الذكور واخرج عن عطاء قال العقب ولده وعصبته وقال تعالى واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام (اخرج ابن جرير فى تفسيره عن مجاهد فى هذه الآية فاستجاب الله لابراهيم دعوته فى ولده فلم يعبد احد من ولده صنما بعد دعوته واستجاب الله له واجعل هذا البلد آمنا ورزق اهله من الثمرات وجعله اماما وجعل من ذريته من يقيم الصلاة (واخرج البيهقى فى شعب الايمان عن وهب ابن منبه ان آدم لما اهبط الى الارض استوحش وذكر الحديث بطوله فى قصة البيت الحرام وفيه من قوله تعالى لآدم فى حق ابراهيم عليهما السلام واجعله امة واحدة قانتا بامرى داعيا الى سبيلى اجتبيه واهديه الى صراط مستقيم واستجيب دعوته فى ولده وذريته من بعده واشفعه فيهم واجعلهم اهل ذلك البيت وولاته وحماته الحديث فهذا الحديث موافق لقول مجاهد آنفا ولا شك ان ولاية البيت كانت باجداد النبى صلى الله عليه وسلم خاصة دون سائر ذرية ابراهيم عليه السلام الى ان انتزعها منهم عمرو بن لحى الخزاعى ثم عادت اليهم فعرف ان كل ما ذكر فى ذرية ابراهيم عليه السلام من خير فاولى الناس به سلسلة الاجداد الشريفة الذين خصوا بالاصطفاء وانتقل اليهم نور النبوة واحدا بعد واحد فهم اولى بان يكونوا هم البعض المشار اليه فى قوله تعالى

رب اجعلنى مقيم الصلوة ومن ذريتى (واخرج ابن ابى حاتم عن سفيان ابن عيينة رحمهما الله تعالى انه سئل هل عبد احد من ولد اسماعيل الاصنام فقال لا الم تسمع قوله تعالى واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام الآية قيل فكيف لم يدخل ولد اسحاق وسائر ولد ابراهيم فقال لانه دعا لاهل هذا البلد ان لا يعبدوا اذا اسكنهم اياه فقال اجعل هذا البلد آمنا ولم يدع لجميع البلدان بذلك فقال واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام فيه وقد خص اهله فقال ربنا انى اسكنت من ذريتى الى ربنا ليقيموا الصلاة فانظر لهذا الجواب السديد من هذا الامام الكبير وناهيك انه شيخ الامام الشافعى رضى الله عنهما (واخرج الشيخ فى تفسيره عن زيد ابن على رحمهما الله تعالى قال قالت سارة لما بشرتها الملائكة ياويلتا أألد وانا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا لشئ عجيب فقالت الملائكة ترد على سارة اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد قال فهو كقوله تعالى وجعلها كلمة باقية فى عقبه (واما قصة البيت الحرام فى حديث البيهقى فلم اقف عليه الآن ولكن الذى رأيته فى الملل والنحل انه اختلف فى اول من بنى البيت الحرام فقيل ان آدم عليه السلام لما اهبط الى الارض وقع على سرنديب من ارض الهند فصار متحيرا فوافى حواء سلام الله عليهما بجبل الرحمة من عرفات ثم صار الى ارض مكة فدعا وتضرع الى الله تعالى ان يأذن له فى بناء بيت يكون قبلة لصلاته ومطافا لعبادته كما كان قد عهد فى السماء من البيت المعمور الذى هو مطاف الملائكة فانزل الله عليه مثال ذلك البيت على شكل سرادق من نور فوضعه مكان البيت فكان يتوجه اليه ويطوف به ولما توفى تولى وصيه شيث بناء البيت الحرام من الحجر والطين على الشكل المذكور ثم خرب بالطوفان وامتد الزمان الى ان انتهت النوبة الى الخليل عليه الصلاة والسلام فحملت هاجر هناك فولدت اسماعيل عليه السلام (قلت هذا الكلام يفيد ان اسماعيل ولد هناك وهو مخالف لما نقلناه

عن السيوطى اخر العقد الثالث من ان اسماعيل كانت ولادته بالشام قبل الهجرة الى مكة ويوافقه ماذكره البيضاوى فى تفسيره تأمل قال صاحب الملل ثم اجتمعا على بناء البيت وذلك قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل فرفعاها على مقتضى اشارة الوحى مراعيان فيها جميع المناسبات التى بينها وبين البيت المعمور وشرعا المناسك والمشاعر محافظان فيها جميع المناسبات التى بينها وبين الشرع الاخير وبقى الشرف والتعظيم الى ان استولى على البيت عمرو بن لحى ثم صار الى مدينة البلقاء بالشام فرأى قوما يعبدون الاصنام فسألهم عنها فقالوا له هذه ارباب اتخذناها على شكل الهياكل العلوية والاشخاص البشرية نستنصر بها فننصر ونستشفى بها فنشفى فاعجبه ذلك وطلب منهم صنما فدفعوا اليه هبل فصار به الى مكة فوضعه فى الكعبة فمن قال ان البيت الحرام انما هو بيت زحل بناه البانى الاول على طوالع معلومة وسماه بيت زحل فقد كذب انتهى (فائدة جليلة اخرج الحاكم فى تاريخه والديلمى عن عطية بن بشر مرفوعا فى قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها قال علمه فى تلك الاسماء الف حرفة من الحرف وقال له يا آدم قل لاولادك وذريتك ان لم يصبروا عن الدنيا فليطلبوها بهذه الحرف ولا يطلبوها بالدين فان الدين لى وحدى خالصا ويل لمن طلب الدنيا بالدين ويل له (والحاصل انا قد اسمعناك ما تستشفى به ارواح المؤمنين من الكلام النبوى وكلام الصحابة والتابعين رضى الله تعالى عنهم اجمعين مما هو دال على توحيد الاصول الطاهرين من عهد آدم الى عبد الله بيقين ولنتل عليك ما ورد من الاخبار المنقولة عنهم من عبد الله الى عدنان فى الجملة (وهو العقد الخامس اخرج ابو نعيم وغيره من طريق عطاء عن ابن عباس لما خرج عبد المطلب من مكة بابنه عبد الله بعد نحر الابل مر به على كاهنة من نبالة بفتح النون موضع باليمن او بالطائف يقال لها فاطمة بنت مر بضم الميم الخثعمية قالت لعبد الله لك مثل الابل التى نحرت عنك وقع على الآن

لما رأت من نور النبوة الساطع فى وجهه زاد البرقى عن هشام الكلبى وكانت من اجمل النساء واعفهن فاعرض عنها عبد الله وقال شعرا

* اما الحرام فالممات دونه * والحل لا حل فاستبينه *
* فكيف بالامر الذى تبغينه * يحمى الكريم عرضه ودينه *

فاجابته بأبيات منها

* انى رأيت مخيلة نشأت * فتلألأت بحناتم القطر *
* فلمائها نور يضيء به * ما حوله كاضاءة الفجر *

وقد سبق قصة حفر زمزم وانقياده للذبح استسلاما لامر الله عز وجل ومن شعره رضى الله تعالى عنه ما اورده فى المسالك عن الصلاح الصفدى

* لقد حكم السارون فى كل بلدة * بان لنا فضلا على سائر الارض *
* وان ابى ذو المجد والسؤدد الذى * يشار به ما بين نشز الى خفض *
* وجدى وآباء له اثلوا العلا * قديما بطيب العرق والحسب المحض

(واخرج احمد والبزار والطبرانى والحاكم والبيهقى عن العرباض ابن سارية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى عند الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينة وسأخبركم عن ذلك انا دعوة ابى ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا امى التى رأت (قال السيوطى وكذلك امهات الانبياء يرين ولكن الذى رأته ام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حال حملها به وولادتها له اكثر واعظم مما رآه سائر امهات الانبياء عليهم الصلاة والسلام (فمن ذلك ما اخرجه فى المواهب وشرحها عن ابن عباس وكعب الاحبار ان آمنة كانت تقول اتانى آت حين مر بى من حملى ستة اشهر فى المنام وقال لى يا آمنة انك حملت بخير العالمين فاذا ولدته فسميه محمدا واكتمى شانك قالت ثم اخذنى ما يأخذ النساء وانى لوحيدة فى المنزل وعبد المطلب فى طوافه فسمعت وجبة عظيمة وامرا عظيما هالنى ثم رأيت كأن جناح طائر ابيض

قد مسح على فؤادى فذهب عنى الرعب وكل وجع اجده ثم التفت فاذا انا بشربة بيضاء فتناولتها فاصابنى نور عال ثم رأيت نسوة كالنخل طوالا كانهن من بنات عبد مناف يحدقن بى فبينا انا اتعجب وفى رواية فقلن لى نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين وفى رواية فيها ضعف فبينا انا كذلك اذا بديباج قد مد بين السماء والارض واذا بقائل يقول خذاه اذا ولد عن اعين الناس قالت ورأيت رجالا قد وقفوا فى الهواء بأيديهم اباريق من فضة ثم نظرت فاذا انا بقطعة من الطير قد اقبلت حتى غطت حجرتى مناقيرها من الزمرد واجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصرى فرأيت مشارق الارض ومغاربها ورأيت ثلاثة اعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة فاخذنى المخاض فولدت محمدا صلى الله عليه وسلم فنظرت اليه فاذا هو ساجد وقد رفع اصبعه الى السماء كالمتضرع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد اقبلت من السماء حتى غشيته وغيبته عنى ثم سمعت مناديا ينادى طوفوا به مشارق الارض ومغاربها وادخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلموا انه سمى الماحى لانه لا يبقى شىء من الشرك فى زمنه ثم انجلت عنه فى اسرع وقت ذكره مولانا العلامة محمد عليش فى حاشيته على المولد الشريف (وفى المواهب وشرحها عن همام بن يحيى عن اسحاق بن عبد الله بن ابى طلحة الانصارى ان ام رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لما ولدته خرج من فرجى نورا اضاءت له قصور الشام فولدته نظيفا ما به قذر رواه ابن سعد والى هذا اشار عمه العباس رضى الله عنه فى شعره حيث قال

* وانت لما ولدت اشرقت ال * أرض وضاءت بنورك الافق *
* فنحن فى ذلك الضياء وفى ال * نور وسبل الرشاد نخترق *

وانت الافق على تأويله بالناحية (وفيه عن كعب الاحبار انه نودى

قوله وجبة بجيم وباء موحدة وزان تمرة معناها السقوط يقال وجب الحائط ونحوه وجبة سقط وكذلك يقال وجب القلب وجبا رجف والمراد انها سمعت شيئا عظيما افزعها من غير ان تراه انتهى منه

ليلة حمل المصطفى صلى الله عليه وسلم فى السماء وصفاحها اى جوانبها والارض وبقاعها ان النور المكنون الذى منه نور رسول الله صلى الله عليه وسلم انتقل فى بطن امه فياطوبى لهم ياطوبى وطوبى فعلى من الطيب من فرح وقرة عين وغير ذلك من الطيبات ومنها الجنة والشجرة والكل مراد هنا فهذه بشارة من الملك فلا مانع ان الله اعلمه فبشرها بذلك قلت وهذا هو الصواب فافهم (وفى حاشية العلامة الاميران كعبا علم ذلك اما باخبار وجدها فى بعض الكتب الالهية او انه تلقاه عن احبار يعلمون ذلك لانه كان من علماء اليهود ثم اسلم والصحيح انه كان على يد عمر وتوفى فى خلافة عثمان رضى الله تعالى عنهم (واخرج صاحب المواهب عن ابى نعيم من طريق الزهرى عن اسماء بنت رهم بضم الراء وفى كتب السيوطى نقلا عن ابى نعيم عن ام سماعة بنت ابى رهم وفق الزرقانى فقال لعل اسمها اسماء وكنيتها ام سماعة عن امها قالت شهدت آمنة ام النبى صلى الله عليه وسلم فى علتها التى ماتت بها ومحمد صلى الله عليه وسلم غلام يفع بفتح الفاء كما فى القاموس اى مرتفع له خمس سنين عند رأسها فنظرت امه الى وجهه ثم قالت شعرا

* بارك فيك الله من غلام * يا ابن الذى من حومة الحمام *
* نجا بعون الملك العلام * فدى غداة الضرب بالسهام *
* بمائة من ابل سوام * ان صح ما ابصرت فى المنام *
* فانت مبعوث الى الانام * تبعث فى الحل وفى الحرام *
* تبعث فى التحقيق والاسلام * دين ابيك البر ابراهام *
* فالله انهاك عن الاصنام * ان لا تواليها مع الاقوام *

جمع قوم الجماعة من الرجال والنساء وبه صدر المجد وهو المراد هنا والمعنى انهاك مقسمة عليك بالله ان لا توالى الاصنام بنصرة وتعظيم وعبادة فلفظ الجلالة منصوب على التوسع ثم قالت رضى الله عنها كل حى ميت وكل جديد بال وكل كبير يفنى وانا ميتة وذكرى باق وقد تركت خيرا وولدت طهرا ثم ماتت رحمها

الله تعالى ورضى عنها ونفعنا بها وبحبتها واماتنا على سنة ولدها صلى الله عليه وسلم آمين (وهذا القول منها صريح فى انها موحدة اذ ذكرت دين ابراهيم وبعث ابنها صلى الله عليه وسلم بالاسلام من عند الله وقد نهته عن الاصنام وموالاتها وعبادتها فقد افادت الاعتراف بالله تعالى وانه لاشريك له والبراءة من عبادة الاصنام وصدقت بالبعثة وهل التوحيد شئ غير هذا ولذا قال العلامة الزرقانى وهذا القدر كاف فى زمن الجاهلية وانما اشترط قدر زائد على هذا بعد البعثة انتهى ومن الظن السيئ او الجهل المحض ان كل من مات فى الجاهلية كان كافرا فانه قد تحنف فيها جماعة كما وردت الاحاديث بذلك وتظافرت بها نقول العلماء فلا بدع ان السيدة آمنة كذلك بل هى اولى لان اكثر من تحنف انما كان سببه ماسمعه من اهل الكتاب من انه قرب بعث نبى من الحرم صفته كذا وكذا وامامه صلى الله عليه وسلم فقد سمعت وشاهدت مالم يسمعوا ولم يشاهدوا من ذلك ماسمعته من اليهود حين قدمت به الى المدينة من شهادتهم له بالنبوة وما شاهدته فى حمله وولادته من الآيات الباهرة ورأت النور الذى خرج منها حتى اضاءله قصور الشام حتى رأتها وقالت لحليمة رضى الله عنها حين جاءت به وقد شق صدره الشريف اخشيت عليه الشيطان كلا والله ماللشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابنى هذا شأن فهذا كله يؤيد انها تحنفت فى حياتها (قال الراوى فكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك ابياتا

نبكى الفتاة البرة الأمينه * ذات الجمال العفة الرزينه
زوجة عبد الله والقرينه * ام نبى الله ذى السكينه
وصاحب المنبر بالمدينه * صارت لدى حفرتها رهينه
اوفوديت لفوديت ثمينه * وللمنايا شفرة سنينه
لاتبق ظعانا ولا ظعينه * الا اتت وقطعت وتينه

فان قلت حيث ثبت ان الوالدين الكريمين كانا على الحنيفية

قوله العفة بفتح العين المهملة وتشديد الفاء يأتى وصفا بمعنى الامتناع عن الشئ وبكسر العين مصدر عف يعف من باب ضرب وقوله القرينه عطف تفسير لما قبله قال تعالى وزوجناهم بحور عين اى قرناهم انتهى سعد

فما فائدة احيائهما وايمانهما به صلى الله عليه وسلم قلت فائدته اظهر من الشمس وهى التشرف بالايمان به صلى الله عليه وسلم بعد البعثة ولينالا فضيلة الصحبة فيمتازا على غيرهم من الآباء الكرام والله اعلم (واما عبد المطلب فقد مر شرحه قبيل هذا الباب بما لامزيد عليه وخلاصته انه مؤمن بالله تعالى ومصدق بالبعثة والبعث وبان الله فاعل مختار يثيب المحسن بفضله ويجازى المسيئ بعدله (وهذا القدر كاف وزائد على المطلوب فى التوحيد من اهل الفترة وانما كان ذلك ببركته صلى الله عليه وسلم كما قال الشهرستانى فى الملل والنحل ظهر نور النبى صلى الله عليه وسلم فى اسارير عبد المطلب وببركة ذلك النور الهم النذر فى ذبح ولده وببركة ذلك النور كان يأمر ولده بترك البغى والظلم ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيات الامور وببركة ذلك النور يقول فى وصاياه انه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة الى ان هلك رجل ظلوم ولم تصبه عقوبة فقيل لعبد المطلب فى ذلك ففكر فقال والله ان وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن باحسانه ويعاقب فيها المسيئ باساءته وببركة ذلك النور قال لأبرهة ان لهذا البيت ربا يحفظه ثم قال وقد صعد ابا قبيس * لاهم ان المرأ يمنع رحله فامنع رحالك * لايغلبن صليبهم ومحالهم عدوى محالك * فانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك * (وقال العلامة الامير فى حاشيته كان عبد المطلب مجاب الدعوة قد حرم الخمر على نفسه وهو اول من تعبد بحراء وكان اذا دخل رمضان صعد اليه يطعم المساكين ويرفع من مائدته للطير والوحوش فى رؤس الجبال (وذكر نحوه مولانا العلامة عليش فى حاشيته على المولد الشريف (تكميل) اخرج ابن عساكر عن امامة رفعه من ولد له مولود فسماه محمدا كان هو ومولوده فى الجنة (قال الحافظ السيوطى هذا امثل حديث ورد فى هذا الباب واسناده حسن رواه العلامة المحقق صاحب

قوله محالهم الخ بكسر الميم بعدها حاء مهملة قال ابن الاثير فى النهاية المحال الكيد والقوة انتهى وفى المصباح العدوى بفتح العين المهملة وسكون الدال المهملة ومعناها كما يستفاد من المصباح الاستعانة بمن ينتقم ممن ظلمك واعتدى عليك تأمل انتهى سعد

رد المحتار فى حاشيته على الدر المختار (قلت فقد افاد تعدد احاديث هذا الباب والحمد لله واذ تحقق ذلك فعبد المطلب رضى الله عنه معه صلى الله عليه وسلم فى الجنة لانه هو الذى سماه محمدا صلى الله عليه وسلم (روى البيهقى عن ابى الحسن التنوخى قال لما كان يوم السابع من ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبح عنه جده ودعا قريشا فلما اكلوا قالوا ما سميته قال سميته محمدا قالوا لم رغبت به عن اسماء اهل بيته قال اردت ان يحمده الله فى السماء وخلقه فى الارض (وذكر السهيلى وابو الربيع الكلاعى ان عبد المطلب انما سماه محمدا لرؤيا رآها زعموا انه رأى مناما كأن سلسلة خرجت من ظهره ولها طرف فى السماء وطرف فى الارض وطرف بالمشرق وطرف بالمغرب ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة منها نور واذا اهل المشرق والمغرب يتعلقون بها فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه اهل المشرق واهل المغرب ويحمده اهل السماء واهل الارض (فلذلك سماه محمدا صلى الله عليه وسلم مع ما حدثت به آمنة من انها اتاها آت وهى بين النوم واليقظة فقال لها اذا وضعتيه فسميه محمدا صلى الله عليه وسلم رواه العلامة العارف نجم الدين الغيطى فى المولد الشريف نفعنا الله به (وفيه انه لما جاءه البشير بولادته صلى الله عليه وسلم سر بذلك سرورا عظيما فاخذه وادخله الكعبة وقام عنده يدعو الله كثيرا ويشكره على ما اعطاه وعوذه بقصيدة (منها هذا البيت * اعيذك بالواحد * من شر كل حاسد *

(وفيه كان عبد المطلب يفوح منه رائحة المسك الاذفر ونور رسول الله صلى الله عليه وسلم يضئ فى غرته وكانت قريش اذا اصابهم قحط يستسقون به فيسقيهم الله غيثا عظيما انتهى (فان قلت الحديث الشريف انما يصدق على الاب وعبد المطلب جده صلى الله عليه وسلم (قلت قد اطبق العلماء ان الجد بمنزلة الاب عند فقده فى كثير من الابواب كما لا يخفى ويرجو الضعيف

ان يدخل مع ابيه فى عموم الحديث الشريف (فائدة) ورد فى صحيح مسلم ان احب الاسماء الى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن (قال المناوى رحمه الله تعالى وهذا محمول على من اراد التسمى بالعبودية لانهم كانوا يسمون عبد شمس وعبد اللات (فلا ينافى ان اسم محمد واحمد احب الاسماء الى الله تعالى من جميع الاسماء فانه لم يختر لنبيه صلى الله عليه وسلم الا ما هو احب اليه هذا هو الصواب انتهى من رد المحتار واما هاشم رضى الله عنه فانه كان يحمل ابن السبيل ويؤدى الحقوق (وكان نور رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلألأ فى وجهه لا يراه احد الا قبل يده ولا يمر بشئ الا سجد له وكان يضرب بجوده المثل مات وسنه عشرون سنة قلت فحينئذ دخل فى عموم حديث سألت ربى ابناء العشرين فوهبهم لى كامر (واما عبد مناف رضى الله عنه فذكر الزبير رضى الله عنه انه وجد نقشا فى حجر انا المغيرة بن قصى آمر بالتقوى وصلة الرحم وكان يبغض الاصنام وكان فيه نور رسول الله صلى الله عليه وسلم (واما قصى رضى الله عنه فكان عالم قريش واقومها بالحق وكان يجمع قومه يوم العروبة ويذكرهم ويأمرهم بتعظيم الحرم ويخبرهم بانه سيبعث فيه نبى افاده العلامة الامير والعلامة عليش فى حاشيتيهما زاد صاحب الملل والنحل ان قصيا كان ينهى عن عبادة غير الله عز وجل من الاصنام وهو القائل شعرا

* اربا واحدا ام الف رب * ادين اذا تقسمت الامور *
* تركت اللات والعزى جميعا * كذلك يفعل الرجل البصير *

واما كعب رضى الله عنه فقد نقل الامام المناوى رحمه الله تعالى عن الروض فى فيض القدير على الجامع الصغير ان كعبا هو اول من جمع يوم العروبة وقيل هو اول من سماها الجمعة فكانت قريش تجتمع عليه فيخطبهم ويذكرهم ذكره مولانا الجد المرحوم فى مجموعته ومثله فى حاشية العلامة عليش ولكنه فسر التذكير

ببعث النبي صلى الله عليه وسلم واعلامهم بانه ولده وامرهم باتباعه والايمان به وكان ينشد في هذا ابياتا منها قوله

يا ليتني شاهد فحواء دعوته * اذا قريش تبغي الحق خذلانا

ونظيره في حاشية العلامة الامير والمسالك (قال الحافظ السيوطي وقد ذكر الماوردي هذا الخبر عن كعب في كتاب الاعلام له واخرجه ابونعيم في دلائل النبوة بسنده عن ابي سلمة عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وزاد فيه بان كعبا كان يوصي ولده مرة بالايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم (قلت وكل مولود يولد على الفطرة فابواه الحديث (واما كنانة رضي الله عنه فقد كان عالما فاضلا والعلم نور يهدي الى الحق (والظاهر انه كان على ملة ابراهيم دين ابيه (واما خزيمة رضي الله عنه فعن ابن عباس رضي الله عنهما مات خزيمة على ملة ابراهيم وقد اجتمع فيه نور آبائه مع نور النبي صلى الله عليه وسلم (واما مدركة رضي الله عنه فالظاهر انه كان على ملة ابراهيم عليه السلام لما سيأتي ان اباه رد قومه الى هذه الملة وكان فيه نور المصطفى صلى الله عليه وسلم بينا (واما الياس رضي الله عنه فهو اول من اهدى الى البيت الحرام وكان يسمع من صلبه دوي تلبية النبي صلى الله عليه وسلم بالحج وكانت العرب تعظمه تعظيم اهل الحكمة كلقمان (قال الزبير بن بكار ولما بلغ الياس انكر على بني اسماعيل تغيير سنن آبائهم وظهر فضله عليهم فردهم الى سنن آبائهم وسيرهم وكان ذا جمال بارع (قال الامام السهيلي ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الياس انه كان مؤمنا وذكر انه كان يسمع في صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وسلم بالحج ذكره في المسالك (واما مضر رضي الله عنه فقد مضر القلوب بحسنه ولم يره احد الا احبه ومن حكمه من يزرع شرا يحصد ندامة وخير الخير اعجله فاحملوا انفسكم على مكروهها واصرفوها عن هواها فيما يفسدها فليس بين الصلاح والفساد الا صبر فواق بضم

الفاء وتفتح ما بين الحلبتين وكان من احسن الناس صوتا وهو اول من سن الحداءة بضم الحاء ممدودا الغناء للابل والكل من حاشيتي العلامتين المذكورين بقليل زيادة وبالجملة فكل اباء النبي صلى الله عليه وسلم سادة فضلاء وقادة نبلاء قد طلع فجر شرفهم فاضاء ما بين المشرقين والمغربين وسرى صوت صدى صيتهم في جميع الافاق مسرى النيرين فياحبذا السادة اولوا الفضل والفخار الموصوفون بكل نعت جميل رفيع المنار

لم تزل في ضمائر الكون تختا * ر لك الامهات والاباء

وبدا للوجود منك كريم * من كريم آباؤه كرماء

ويكفيهم شرفا وفضلا ما اودعه الله تعالى فيهم من النور المحمدي فقد طفحت الاخبار ان نور المصطفى صلى الله عليه وسلم كان يتلألأ في وجوههم رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بهم والكفر ظلمة وهما ضدان وقد نصوا ان عدنان انما سمي بذلك لان الله تعالى اقام عليه من يحفظه من الانس والجن حين عزموا على قتله لما رأوا فيه من انوار النبوة وقالوا لئن تركنا هذا الغلام ليخرجن من ظهره من يسود الناس ويغلب ملوكهم فوكل الله به من يحفظه اكراما لنبيه صلى الله عليه وسلم ذكره العلامة الامير (هذا وقد اعتنى الحافظ السيوطي شكر الله سعيه فاستنبط دليلا قطعيا من مقدمتين صريحا في المطلوب يقين (احداهما انه قد ثبت في الاحاديث الصحيحة ان كل اصل من اصوله صلى الله عليه وسلم هو خير قرنه وافضلهم (الثانية ان الاحاديث والآثار مصرحة بان الارض لم تخل من قوم على الفطرة يعبدون الله ويوحدونه ويصلون له وبهم تحفظ الارض ولولاهم لهلكت ومن عليها من عهد آدم الى بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ثم الى قبيل قيام الساعة واذا قرنت بين هاتين المقدمتين انتج منهما قطعا ان جميع اصول النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن فيهم مشرك مطلقا لانه قد ثبت وصح في كل منهم انه خير قرنه

فاذا كان من على الفطرة هم الاصول فهو المدعى وان كان غيرهم وهم على الشرك لزم احد امرين (امان يكون غيرهم خيرا منهم وهو باطل لمخالفته الاحاديث الصحيحة والنصوص القوية (واما ان يكون المشرك خيرا من المسلم وهو باطل بالكتاب والسنة والاجماع (وفى الكتاب المجيد ولعبد مؤمن خير من مشرك الآية فوجب قطعا ان لا يكون فيهم مشرك واذا كان كذلك ثبت قطعا انهم على التوحيد ليكون كل فرد منهم فى زمنه خير اهل الارض وقد سردنا عليك ادلة المقدمة الاولى فى العقد الاول فراجعها ولنسمعك ادلة المقدمة الثانية (اخرج عبد الرزاق وابن المنذر بسند صحيح على شرط الشيخين عن معمر عن ابن جريج قال (قال ابن المسيب قال لى على بن ابى طالب كرم الله وجهه لم يزل على وجه الدهر فى الارض سبعة مسلمون فصاعدا فلولا ذلك هلكت الارض ومن عليها ومثله لا يقال من قبل الرأى فله حكم المرفوع (واخرج الامام احمد فى كتاب الزهد والخلال فى كرامات الاولياء بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ماخلت الارض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن اهل الارض وهذا ايضا له حكم الرفع (وانما قيده بما بعد نوح لانه من قبله كان الناس كلهم على الهدى كما مر (واخرج الازرقى عن زهير بن محمد قال لم يزل على وجه الارض سبعة مسلمون فصاعدا ولولا ذلك لاهلكت الارض ومن عليها (واخرج ابن جرير فى تفسيره عن شهر بن حوشب قال لم تبق الارض الا وفيها اربعة عشر يدفع الله بهم عن اهل الارض ويخرج بركتها الازمان ابراهيم عليه السلام فانه كان وحده (واخرج ابن المنذر فى تفسيره عن قتادة فى قوله تعالى *فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون *قال مازال لله فى الارض ولى منذ هبط آدم ما اخلى الله الارض لابليس الا وفيها اولياء له

يعملون لله بطاعته (وقال الحافظ ابو عمر بن عبد البر وروى ابن القاسم عن مالك قال بلغنى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لا يزال لله فى الارض ولى مادام للشيطان فيها ولى الكل من المسالك وشرح المواهب الى هنا قد كملت العقود باذن الملك القادر المعبود

* نسب تحسب العلا بحلاه * قلدتها نجومها الجوزاء *

* حبذا عقد سودد وفخار * انت فيه اليتيمة العصماء *

(فهذه فرائد الائمة من كل حبر مفضال ودع عنك ما كان سرابا من قيل وقال ولو اردنا ايراد الغث مع السمين لاوردنا نحو حديث ان الله احيى عبد المطلب حتى آمن بالصادق الامين كما ذكره الحافظ فى مسالك الحنفاء مصرحا بشدة ضعفه (وقال الزرقانى انه باطل لكنى بحمد الله تعالى لم احتج الى ذلك لما فى الميدان من الادلة القوية غنى عما هنالك كما قيل * فى طلعة البدر ما يغنيك عن زحل * (فوائد شتى الاولى ذكر العلامة الجمل رحمه الله تعالى فى حاشيته على تفسير الجلالين عند قوله تعالى * والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم * ان الذرية هنا تصدق على الآباء والابناء فان المؤمن اذا كان عمله كثيرا الحق به من هو دونه فى العمل ابا كان اوابنا (ففى القرطبى عن ابن عباس وغيره ان كان الآباء ارفع درجة رفع الله الابناء الى الآباء وان كان الابناء ارفع درجة رفع الله الآباء الى الابناء فالآباء داخلون فى اسم الذرية كقوله تعالى * وآية لهم انا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون * ويلحق بالذرية من النسب الذرية بالسبب فان كان معها اخذ علم اوعمل كانت اجدر فتكون ذرية الافادة كذرية الولادة كما قاله الخطيب (وفى القرطبى ايضا عن ابن عباس رضى الله عنهما يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم اذا دخل اهل الجنة الجنة سأل احدهم عن ابويه وعن زوجته وولده فيقال انهم لم يدركوا ما ادركت فيقول يارب انى عملت لى ولهم فيؤمر بالحاقهم به

انتهى (الثانية ذكر العلامة الجد رحمه الله تعالى ونفعنا به في مجموعته معزوا للشيخ على القارى فى شرح المشكاة للحافظ السيوطى انه لم ترضعه صلى الله عليه وسلم امرأة الا اسلمت (قال ومرضعاته اربع امه وقد ورد الحديث باحيائها حتى آمنت به صلى الله عليه وسلم وحليمة وثويبة وام ايمن رضى الله تعالى عنهن انتهى (قال العلامة الجد رحمه الله تعالى يؤخذ من نقل على القارى ايمان امه واقراره له بالرجوع اليه حيث لم يتعقبه (ولعل شرحه للمشكاة متأخر عن شرحه الفقه الاكبر انتهى (وقد رد العلامة الساجقلى على على القارى حيث قال لعل البرودة اثرت فى رأسه فاختل عقله عافانا الله من كل مايشين وعفى عنا اجمعين (الثالثة قد حدثنى من اثق بحديثه (قال حدثنى رجل موثوق به من اهل بخارى القادمين الى زيارة النبى صلى الله عليه وسلم ان الموجود عندهم فى نسخة الفقه الاكبر ووالدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ماماتا على الكفر وعليه فيكون قد دس فى العبارة باسقاط ميم واحدة او العبارة كلها مدسوسة كما مر عن العلامة الطحاوى معزيا لابن حجر فتبصر (ولا يخفى ان مفاهيم اقوال المجتهدين والعلماء معتبرة كما فى كتب الاصول فبناء على حديث البخارى يكون مفهوم النص انهما ماتا على الايمان نسأل الله تعالى ان يدخلنا معهم دار السلام بامان

(الباب السادس)

فى بيان ان الله تعالى احيى الوالدين الكريمين حتى آمنا بالنبى صلى الله عليه وسلم (اعلم ان مما يتأكد وجوب الايمان به صلاحية القدرة الالهية على الايجاد والاعدام فى كل الاحيان وهو القاهر فوق عباده لا يعجزه شئ فى كل عصر وزمان ومكان وقد حبا حبيبه صلى الله عليه وسلم بما شاء مما جرت به العادة ام لا وكلاهما

فى جنب القدرة الباهرة على حد سواء (فمن ذلك احياء والديه الكريمين حتى آمنا بالجناب الرفيع ثم اعيدا بمقتضى الحكمة على اسلوب بديع وقد لهج بذلك العلماء فى القديم والحديث ورواه جمع عظيم من ثقاة الحفاظ وائمة الحديث فمنهم الحافظ بن شاهين والحافظ الخطيب البغدادى وابن عساكر والسهيلى والقرطبى والمحب الطبرى وابن سيد الناس والحافظ بن ناصر الدمشقى والحافظ ابن حجر والحافظ السيوطى والصلاح الصفدى وابن المنير بالتكبير (ونقله عن هؤلاء الائمة جماهير العلماء الاعلام مستدلين بما روى عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه ان يحيى ابويه فاحياهما له فآمنا به ثم اماتهما رواه الحافظ السهيلى فى كتابه الروض والخطيب فى كتابه السابق واللاحق (وروى الحافظ ابن شاهين فى الناسخ والمنسوخ قال حدثنا محمد بن الحسين بن زياد مولى الانصار حدثنا احمد ابن يحيى الحضرمى بمكة حدثنا ابو غزية محمد بن يحيى الزهرى حدثنا عبد الوهاب بن موسى الزهرى عن عبد الرحمن بن ابى الزناد عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم نزل الى الحجون كئيبا حزينا فاقام به ماشاء الله عز وجل ثم رجع مسرورا فقلت يا رسول الله نزلت الى الحجون كئيبا حزينا فاقمت به ماشاء الله ثم رجعت مسرورا قال سألت الله ربى فاحيا لى امى فآمنت بى ثم ردها (وروى الحافظ الخطيب فى السابق واللاحق قال انبأنا ابو العلاء الواسطى حدثنا الحسين بن محمد الحلبى حدثنا ابو طالب عمر بن الربيع الزاهد حدثنا على بن ايوب الكعبى حدثنا محمد بن يحيى الزهرى عن ابى غزية حدثنا عبد الوهاب بن موسى حدثنا مالك بن انس عن ابى الزناد عن هشام بن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر بى على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فبكيت

لبكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه نزل فقال يا حميراء استمسكي فاستندت الى جنب البعير فمكث عني طويلا ثم عاد الي وهو فرح متبسم فقلت له بابي انت وامي يارسول الله نزلت من عندي وانت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك ثم انك عدت الي وانت فرح متبسم فمم ذاك يارسول الله فقال ذهبت لقبر امي فسألت الله ان يحييها فاحياها فآمنت بي وردها الله وروى الحافظ الطبري في سيرته قال انبأنا ابو اسحق بن المقير انبأنا الحافظ ابو الفضل محمد بن ناصر السلامي اجازة انبأنا ابو منصور محمد ابن احمد بن علي ابن عبد الرزاق الحافظ الزاهد انبأنا القاضي ابو بكر محمد بن عمر بن محمد بن الاخضر حدثنا ابو غزية محمد بن يحيي الزهري حدثنا عبد الوهاب بن موسى الزهري عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم نزل الحجون كئيبا حزينا فاقام به ماشاء الله عز وجل ثم رجع مسرورا قال سألت ربي فاحيا لي امي فآمنت لي ثم ردها والكل مذكور في المواهب وشرحها (واعلم انه قد وقع للعلماء اختلاف فيما ذكرناه فمن مصحح ومن مضعف فعلى الاول الحافظ ابن ناصر الدمشقي والقرطبي وغيرهما واعتمده جم غفير من المحققين منهم العلامة ابن حجر في كتابه الزواجر والمولد الشريف وشرح الهمزية ومشى عليه العلامة التلمساني وذكره المحقق صاحب رد المحتار واقره ومال اليه العلامة الطحطاوي وذكره العارف الشعراني في اليواقيت والجواهر واقره وعلقه مولانا الجد على مجموعته عن شرح المشكاة وارتضاه وعلى الثاني الحافظ السهيلي والحافظ السيوطي (واستفيد من كلام العلامة الزرقاني قول ثالث بالتوفيق وهو ان من قال بضعف الحديث مراده من جهة اللفظ والسند بمقتضى الصناعة الحديثية لا من جهة العمل والاعتقاد فانه صحيح من هذا الوجه ومن قال بالصحة مراده العمل والاعتقاد يعني من غير التفات الى لفظ ولا الى سند اصلا وعلى ذلك السادة

الصوفية فهم تارة يعولون على ان الكلام نبوي عن ذوق وفهم ناشئ من تنوير الهي ولا غرابة في ذلك لان هذا قد يحصل بكثرة الممارسة وقوة المزاولة وفي حديث الجامع الصغير اذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له اشعاركم وابشاركم وترون انه منكم قريب فانا اولاكم به واذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم وتنفر منه اشعاركم وابشاركم وترون انه بعيد منكم فانا ابعدكم منه انتهى فتلخص ان فيما ذكرناه من الاحاديث اقوالا ثلاثة للعلماء رحمهم الله تعالى قولا بالصحة وقولا بالضعف وقولا بالتوفيق والله ولي التوفيق وقد ردوا بأسرهم على من زعم الوضع حتى ان الحافظ السيوطي عاب على الزاعم من جهة الصناعة الحديثية التي هي مرقاة الى الطعن في الحديث وكذا حافظ الشام وابن طاهر المقدسي وغيرهما قالوا ومع هذا فاته الادب مع النبي صلى الله عليه وسلم ومشى عليه العلامة الزرقاني حيث قرر وافاد وعند ما بسط الكلام وحرر هذا المقام ان الحديث غير موضوع قطعا لانه ليس في رواته من اجمع على جرحه والذي اورثه الضعف طعن بعض المحدثين في بعض رواته ولذا قال الحافظ ابن حجر او لا تفرد الراوي به وهو ابو غزية لحكمت عليه بالحسن على مقتضى الصنعة انتهى كيف وله متابع اجود منه وهو طريق الحضرمي وقد عرف باللين ونسبة اللين من الفاظ التعديل الذي يحكم لصاحبه بالحسن اذا توبع انتهى ذكره في المواهب وشرحها (قلت فعلى هذا التقرير يكون الحديث في اول مراتب الضعف تنبه قال في الدرج المنيفة قد جعل ائمة الحديث هذا الحديث ناسخا ولم يبالوا بضعفه لان الحديث الضعيف يعمل به في الفضائل والمناقب وهذه فضيلة ومنقبة (وسئل شيخ الاسلام ابن حجر عن ذلك فكتب على السؤال مثل هذا الجواب كما اخبر بذلك من وقف على خطه من الثقات الفضلاء قال الزرقاني وهو في غاية التحرير ولذا قال الحافظ بن شاهين هذا الحديث ناسخ لما ذكر من الاخبار وذكر في سبل النجاة ان هؤلاء

الائمة جعلوا هذا الحديث ناسخا لما يخالفه وفى المقامة السندسية وما زال اهل العلم و الحديث يروون هـذا الحديث و به يسرون و يشهرونه بين الناس ولا يسرون ويعتبرون مالين من الاحاديث فى الفضائل والمناقب وقد خرجت الائمة فى هذا الباب ماهو اشـد ضعفا من هذا الحديث وتسامحوا فى الفضائل بايراد مالم يصل الى رتبته و لاحاذى ووجهوه بانواع من التوجيه و ارتضوه انتهى (تنبيهان) الاول انما يعمل بالحديث الضعيف فى فضائل الاعمال لاجل تحصيل الفضيلة المترتبة عليه قال ابن حجر لانه ان كان صحيحا فى نفس الامر فقد اعطى حقه من العمل والا لم يترتب على العمل به مفسدة تحليل ولا تحريم ولا ضياع حق للغـير وفى حديث ضعيف من بلغه عن ثواب عمل فعمله حصل له اجره وان لم اكن قلته انتهى من حاشية الدر المختار للطحطاوى وقال صاحب رد المحتار معزيا للسيوطى و يعمل بالحديث الضعيف ايضا فى الاحكام اذا كان فيه احتياط انتهى (قلت وما نحن فيه من هذا القبيل لكن شرط العمل بالحديث الضعيف كما فى الدر المختار و حواشيه ان لا يشتد ضعفه وان يدخل تحت اصل عام وان لا يعتقد عند العمل به وروده عن النبى صلى الله عليه وسلم بل يعتقد الاحتياط (اقول قدمر ان حديث هذا الباب كاد ان يبلغ درجة الحسن لتعدد طرقه الا انه منع منه انفراد ابى غزية به وقد علمت ان هذا كله مبنى على مقتضى الصنعة الحديثية (والمراد بالاصل العام هنا والله اعلم مضمون قوله تعالى * ولسوف يعطيك ربك فترضى * وقول القائل * خلقت مبرأ من كل عيب * كانك قد خلقت كما تشاء * الثانى يستفاد مما مر آنفا من ان حديث الاحياء ناسخ لما يخالفه ان ما لم يخالفه لم يكن ناسخا له كحديث ماسألتهما ربى فيعطينى فيهما وانى لقائم يومئذ المقام المحمود كما سبق فيكون غير منسوخ وكن على ذكر مما مر آنفا ان بكاءه صلى الله تعالى عليه وسلم كان حزنا واسفا على مافاتهما من الاجتماع به ليؤمنا به فيحوزا شرف الصحبة كما نص عليه شيخ مشايخنا

العلامة الطحطاوى والقاضى عياض والساجقلى وغيرهم واقر عينه الشريفة برؤية والديه وقد رحم الله بكاءه واقر عينـه واجاب دعاءه (الا ترى ان الرجل منا لو مات ابواه وهو صغير يود ان يراهما ولو فى المنام فكيف بمن جعله الله رحمة للانام و بهذا التعليـل اندفع الايراد الوارد على ما نحن فيه بحذافيره فلا يقـال ما فائدة احيائهما بعد ان ماتا ناجيين موحدين (والحاصل ان الاحياء والايمان بعد الموت امر ممكن عقلا ونقلا وقد ورد القرآن المجيد بذلك قال جل ثنـاؤه اوكالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشهـا قال انى يحيى هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه الى قوله تعالى * قال اعلم ان الله على كل شئ قدير * فظاهر النـظم الكريم ان هذا كان كافرا بدليـل عطفه على الذى حاج ابراهيم فى ربه فى اول الآية قبله وقد احياه الله تعالى وآمن واذا قال القرطبى و ليس احياؤهما وايمانهما يمتنع عقلا ولا شرعا كما نقله عنه فى المسالك وشرح المواهب (فقد ورد فى الكتاب العزيز احياء قتيل بنى اسرائيل واخباره بقاتله وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يحيى الموتى باذن الله وكذا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كما احيى الله له والديه احيى جماعة من الموتى على يديه فاحيى ابنة الرجل الذى قال لا او من بك حتى تحيى لى ابنتى فجاء الى قبرها وناداها فقالت لبيك وسعديك رواه البيهقى فى الدلائل وتوفى شـاب من الانصار فتوسلت امه وهى عجوز عمياء بهجرتها لله ورسوله فاحياه الله رواه البيهقى وابن عدى وغيرهمـا (ونامات زيد ابن حارثه من سراة الانصار كشفوا عنه فسمعوه يقول محمد رسول الله رواه ابن ابى الدنيا فى كتاب من عاش بعد الموت (واخرج ابن الضحاك ان انصاريا توفى فلما كفن وحمل قال محمد رسول الله انتهى (فاذا علمت هذا وعلمت ان الله رحم العجوز العمياء واجاب دعاءها كرامة له صلى الله تعالى عليه وسـلم فاولى ان يرحم حبيبه و يجيب دعاءه فى والديه (ولذا قال الامام السـهيلى رحمه الله

تعالى الله قادر على كل شئ وليس تقصر قدرته ورحمته عن شئ ونبيه صلى الله تعالى عليه وسلم اهل ان يخص بما شاء من فضله و ينعم عليه بما شاء من كرامته واشار كل من الامام السهيلي والامام القرطبي الى الرد على من استبعد ذلك وعلى من قال ان هذه الحياة لا تنفع كما سيأتى وما اعذب قول حافظ الشام شعرا فى هذا المقام

* حبا الله النبى مزيد فضل * على فضل وكان به رؤفا *
* فاحيا امه وكذا اباه * لايمان به فضلا منيفا *
* فسلم فالقديم بذا قدير * وان كان الحديث به ضعيفا *

يعنى ولو فرض ان الحديث به ضعيف فكيف اذا كان صحيحا كما هو القاعدة فى الحرف الوصلى وهى ان يكون نقيض ما بعدها اولى بالحكم كما نص عليه فى رد المحتار والمعنى انه مما ينبغى ان يعتقد احياء الوالدين والايمان به صلى الله عليه وسلم وان يسلم ذلك فحينئذ لا تنافى بين ما قاله الحافظ المذكور هنا ولا بين ما تقدم من قوله بصحة الحديث كيف وقد نقل القول عنه بصحة الحديث المحقق صاحب رد المحتار واقره تأمل (واذ قد ثبت ما ذكرناه و تحقق فايمتع ايمانهما بعد احيائهما ويكون ذلك زيادة فى الكرامة والفضيلة لينالا شرف الصحبة و يكونا من اشرف امته صلى الله تعالى عليه وسلم (وهذا من اعظم المزايا فقد انتفعا نفعا عظيما بهذه الحياة و يشهد لما نحن فيه اشباه ونظائر زيادة على ما سبق (منها ما اخرجه الفقيه الحافظ الثقة الثبت الحنفى العلامة الطحاوى ورواه عنه القرطبى ان الله رد الشمس على نبيه صلى الله عليه وسلم بعد غروبها حتى صلى على كرم الله وجهه العصر وقال انه حديث ثابت انتهى (والحديث الثابت كما فى علم المصطلح صادق بالحسن و الصحيح كما نص عليه السيوطى واشار اليه شيخنا فى المنظومة وحاشيتها وهذا الحديث اخرجه ايضا ابن منده وابن شاهين من حديث اسماء بنت عميس وابن مردويه من حديث ابى هريرة

واسنادهما حسن قال الزرقانى ومن ثمه صححه الطحاوى والحافظ ابن حجر والقاضى عياض ومغلطاى والقطب الحضرمى والسيوطى وغيرهم وردوا على من زعم الوضع على ان طرقه يتعذر معها الحكم بالضعف فضلا عن الوضع كما نص عليه العلامة الشامى انتهى (قال العلامة القسطلانى فلو لم يكن رجوع الشمس نافعا وانه لا يتجدد الوقت بل استمر لما ردها الله عليه ولذا حكم بكون الصلاة اداء والا لم يكن لرجوعها فائدة اذ كان يصح قضاء العصر بعد الغروب فكذلك يكون احياء ابوى النبى صلى الله عليه وسلم نافعا لايمانهما به وتصديقهما له انتهى (قال الزرقانى و بهذا يرد على من زعم عدم الانتفاع بهذه الحياة انتهى (ومنها ما نص عليه العلامة ابن حجر فى الزواجر ان الله تعالى نفع قوم يونس عليه السلام بايمانهم عند معاينة العذاب كرامة وخصوصية لنبيهم (الا ترى ان نبينا صلى الله عليه وسلم قد اكرمه الله تعالى بحياة ابويه حتى آمنا به كما فى حديث صححه القرطبى وابن ناصر الدين حافظ الشام وغيرهما فانتفعا بالايمان بعد الموت اكراما لنبيه صلى الله عليه وسلم نقله عنه المحقق فى رد المحتار واقره (ومنها ان الطاعة تنفع اهل الفترة يوم القيمة مع انها انما وقعت فى حياة سبقها موت بعده نشر (ولذا قال السيوطى اذا كان الايمان ينفع اهل الفترة فى الآخرة التى ليست دار تكليف وقد شاهدوا جهنم بشهادة الاحاديث الصحيحة فلأن ينفعهم بالاحياء عن الموت من باب الاولى انتهى (فهذه ادلة وشواهد قاضية بان العمل الصالح ينفع مع حياة قد سبقها الموت فمن انكر هذا فكانما انكر وجود الشمس ليس دونها غبار (ولذا قال العارف الزرقانى وقد حصل للمطالب بدليل الخصوصية ادلة كالنهار (ومنها ما ذكره العارف الربانى سيدى عبد الوهاب الشعرانى معزوا لبعض المحققين ان اهل الاعراف يسجدون يوم القيمة فيرجح ميزانهم بتلك السجدة فيدخلون الجنة فلولا ان

هذه السجدة تنفعهم و يسعدون بها لم يدخلوا الجنة مع انها ماوقعت الا بعد الموت وان احياء الابوين الكريمين يجوزان يكون مثل احياء الذين قال لهم الله موتوا ثم احياهم الى تكملة آجالهم (وعلى ذلك فلم يكن ايمان الابوين بالنبى صلى الله عليه وسلم الا فى زمن تكليفهما فكانهما آمنا به قبل ان يموتا انتهى وهو من الحسن بمكان (ومنها ما ورد ان اصحاب الكهف يبعثون اخر الزمان و يحجون ويكونون من هذه الامة تشريفا لهم بذلك (وروى ابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا ان اصحاب الكهف اعوان المهدى فقد اعتد بما يفعله اهل الكهف بعد احيائهم عن الموت ولا بدع فى ان يكون الله تعالى كتب لابوى النبى صلى الله عليه وسلم عمرا ثم قبضهما قبل استيفائه ثم اعادهما لاستيفاء تلك اللحظة الباقية وآمنا به فيها فيعتد به و يكون تأخير تلك اللحظة الباقية بالمدة الفاصلة بينهما لاستدراك الايمان به صلى الله تعالى عليه وسلم من جملة ما اكرم الله به نبيه وحبيبه صلى الله عليه وسلم كما ان تأخير اصحاب الكهف هذه المدة من جملة ما اكرموا به ليحوزوا شرف الدخول فى هذه الامة قاله الزرقانى معزيا للقرطبى وهو فى غاية النفاسة والحسن وقد ظفرت بما هو اصح دليلا واعدل شاهدا ما حرره فى الدرج المنيفة والمقامة السندسية من ان حديث الاحياء قد وافق القاعدة التى اجمع عليها الائمة انه لم يؤت نبى معجزة او خصيصة الا واوتى نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها (وقد احيى الله تعالى لعيسى عليه السلام العازر تصديقا له بعد موته ودفنه بثلاثة ايام كما فى شرح المواهب (قال السيوطى رحمه الله تعالى فلا بد ان يكون لنبينا صلى الله عليه وسلم مثلها ولم يرد من هذا النوع الا هذه القصة وهى احياء الابوين من قبريهما بعد حين انتهى (ثم انما يتم هذا الحصر بقيدين (احدهما الاحياء من القبر والاخر كونه بعد مدة طويلة فى الجملة والى هذا اشار بقوله بعد حين (وهذا هو

الاشبه بقصة العازر فلا يرد علينا قصة ابنة الرجل الذى قال لا أومن بك حتى تحيى لى ابنتى فجاء عليه الصلاة والسلام الى قبرها وناداها فقالت لبيك وسعديك كما مر آنفا لان فيها التصريح بالاحياء من القبر فقط وغيره مسكوت عنه (فمن الجائز ان يكون ذلك ساعة دفنها (قال السيوطى رحمه الله تعالى ومن الاصول المحررة والقواعد المقررة ان من جملة ما يعتضد به الحديث الضعيف موافقته للقواعد انتهى (واما قول بعض العلماء انه لم ير احدا صرح بان الايمان ينفع بعد الموت فان ادعى احد الخصوصية فعليه الدليل كما فى المواهب فمردود بما تقدم ذكره مفصلا من القرآن العظيم ونصوص الائمة الناطقة بان الايمان ينفع بعد الموت بل وفى القيمة كما صرحت بها الاحاديث الصحيحة ويلزمه ما ذكره فى شرح المواهب اما ان يقول بوضع الحديث فيرد عليه بان جماهير الحفاظ قالوا ليس بموضوع وهو الحق الابلج الذى اسفر عنه النظر فى اسانيده او بضعفه ولا يعمل به فيرد بان طريقة المحدثين العمل به لانه فى منقبة انتهى (وقد سبق ما يعضده من جميع اطرافه لاسيما القاعدة المتفق عليها واما ادلة الخصوصية فقد ظهرت اشعتها كالشمس مما مر آنفا على ان الحافظ بن حجر رحمه الله تعالى صرح فى فتح البارى بانه لا يلزم التنصيص على الخصوصية انتهى (ذكره الزرقانى واما من احتج على رد حديث الاحياء بقرآن او اجماع فاحتجاجه فى غير محله لان حديث الاحياء انما ثبت على سبيل الخصوصية ولذا قال الزرقانى فلا يرد حديث احيائهما قرآن ولا اجماع لان محلهما فى غير الخصوصية انتهى (واما جواز وقوعه عقلا فمما لا يليق ان يختلف فيه بين الموحدين (وقدم عن القرطبى وغيره ومهما جاز عقلا امكن حصوله لاسيما بالنسبة الى القدرة الباهرة فان العادة وخرقها بالنظر اليها على حد سواء (وقال الحافظ ابن سيد الناس معزوا لبعض العلماء ما حاصله ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يزل راقيا فى المقامات السنية

صاعدا فى الدرجات العلية الى ان قبض الله روحه الطاهرة اليه وازلفه بما خصه به لديه من الكرامة حين القدوم عليه فمن القريب ان تكون هذه درجة حصلت له صلى الله عليه وسلم بعد ان لم تكن وان يكون الاحياء والايمان به متأخرا ذكره فى مسالك الحنفاء واقره (اقول الذى ينبغى الجزم به تأخر الاحياء لصريح حديث عائشة رضى الله تعالى عنها انه كان فى حجة الوداع (وقد صرح به المحقق فى رد المحتار وقد ورد ما اسداه صلى الله تعالى عليه وسلم من الكرامة العظيمة حين وفدت عليه السيدة حليمة مكافاة لها وجزاء الله تعالى لها اعظم كرامة لحبيبه صلى الله تعالى عليه وسلم وهى امه رضاعا فلأن يكون هذا للام نسبا اولى واحق وهو اللائق بكرم الله تعالى وبمنزلة حبيبه صلى الله عليه وسلم عنده جل وعلا وقد نظم بعض العلماء فى ذلك شعرا فقال

* هذا جزاء الام عن ارضاعه * لكن جزاء الله عنه عظيم *
* وكذاك ارجو ان يكون لأمه * عن ذاك آمنة يد ونعيم *
* ويكون احياها الاله وآمنت * بمحمد فحديثها معلوم *

وانما خص الام بالذكر لمناسبة ذكر السيدة حليمة رضى الله عنها والا فكذلك الاب الكريم كما لا يخفى وليت شعرى ان من لم يكرم الله لاجله اباه وامه فمن يكرمه لاجله من هذه الامة (ومن اعظم الاكرام وجزيل الانعام احياؤهما لتقر بذلك عين سيد الانام وليفوزا بشرف صحبته عليه الصلاة والسلام (هذا ومما يرجح القول بصحة حديث الاحياء ان اولياء الله تعالى العارفين به اتفقوا على الصحة لامحالة (وما ذكره العلامة المحقق الثقة الثبت السيد الطحطاوى رحمه الله تعالى فى حاشية الدر المختار واثبته فيها وارتضاه حيث قال (وحكى ان بعض الفضلاء مكث متفكرا ليلة فى ابويه صلى الله عليه وسلم واختلاف العلماء فى حديث احيائهما وايمانهما به فمن مضعف ومن مصحح ويمكن الجمع بين الاقاويل اولا فاستهوته الفكرة حتى مال على السراج

فاحرقه فلما كانت صبيحة تلك الليلة اتاه رجل من الجند يسأله ان يضيفه فتوجه الى بيته فمر فى اثناء الطريق على رجل خضرى قد جلس بباب خزانة تحت حانوت بها موازينه وباقى آلات البيع فقام هذا الرجل حتى اخذ بعنان دابة الشيخ وقال له شعرا

* امنت ان ابا النبى وامه * احياهما الحى القدير البارى *
* حتى لقد شهدا له برسالة * صدق فتلك كرامة المختار *
* وبه الحديث ومن يقول بضعفه * فهو الضعيف عن الحقيقة عارى *

(ثم قال خذها اليك ايها الشيخ ولا تسهر ولا تتعب نفسك متفكرا حتى يحرقك السراج ولكن امض الى المحل الذى انت قاصده لتأكل منه لقمة حراما فبهت الشيخ لذلك ثم طلب الرجل فلم يجده فاستخبر عنه جيرانه من اهل السوق فلم يعرفه منهم احد واخبروا بانه لاعهد لهم برجل يجلس بهذا المحل اصلا ثم ان الشيخ رجع الى منزله ولم يمض لدار الجندى لما سمعه من مقالة هذا الاستاذ انتهى بحروفه (فائدة شريفة) حدثنى شيخ الصوفية العارف بالله تعالى واليه داعى استاذنا وبركتنا المدنى سيدى السيد احمد الرفاعى قال حدثنى الولى العارف الشيخ منصور البديرى المدنى عن شيخه الولى العارف السيد محسن مقيبل المدنى ان شيخه الولى الكبير السيد مشيخ باعبود المدنى الشهير كان يأمره اذا وقف تجاه القبر الشريف لزيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم ان يصلى عليه مائة مرة بصيغة مخصوصة وهى اللهم صل على سيدنا محمد وعلى والديه وعلى آله وصحبه وسلم (قال قال الشيخ منصور وكان قد امرنى شيخى السيد محسن بذلك فكنت كلما وقفت فى ذلك المقام الرفيع لزيارة السيد الشفيع اصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بهذه الصيغة العدد المذكور فبينا انا ذات يوم اتلوها فى ذلك المقام العالى اذا قائل من الحجرة الشريفة يقول ارفعوا منصور والى هنا قد تم بعون الله المرام وحسن ان شاء الله تعالى

الابتداء والاختتام قال العلامة الزرقانى نفعنا الله تعالى به فى شرح المواهب بعد تمام الكلام على مايتعلق بالابوين الكريمين (هذا وقد بينا لك ايها المالكى حكم الابوين فاذا سئلت عنهما فقل هما ناجيان فى الجنة اما لانهما احييا حتى آمنا واما لانهما ماتا فى الفترة قبل البعثة ولا تعذيب قبلها واما لانهما كانا على الحنيفية والتوحيد لم يتقدم لهما شرك فهذا ماوقفنا عليه من نصوص علمائنا ولم نر لغيرهم مايخالفه الامايشم من نفس ابن دحية وقد تكفل برده القرطبى انتهى (واقول قد اوضحنا لك ايها المؤمن حكم الاصول الكرام فاذا سئلت عنهم فقل هم ناجون فى الجنة اما لانهم من اهل الفترة الناجين واما لانهم كانوا من اشرف القوم الموحدين (واما ان سئلت عن الوالدين الكريمين بالخصوص فقل هما ناجيان فى الجنة من طرق متعددة فضلا من الله ومنة على حسب ما وقفنا عليه من نصوص الائمة الذين كل فرد منهم قدوة للامة من كل المعى مقام * ولوذعى همام * وقد مرت تلك النصوص موضحة مع غاية البيان * وقرت منقحة مع نهاية التبيان (ولم نر من العلماء من خالف اولئك الجهابذة الامايشم من نفس البعض * وقد اعتنى برده فحول قد ملؤا الارض علما طولها والعرض * الطريق الاول كونهما من اهل الفترة الناجين (الثانى كونهما من اشرف من ثبت توحيده باستدلال عقله بسبب نور الهى وجده فى قلبه (الثالث كونهما من اكرم من تشرع بشريعة ابيه ابراهيم عليه السلام (الرابع دخولهما بالاولى فى عموم سؤاله عليه الصلاة والسلام ابناء العشرين (الخامس دخولهما بالاولى فى عموم سؤاله عليه الصلاة والسلام ان لايدخل النار احد من اهل الفترة فاعطاه الله ذلك ودخولهما ايضا بالاولى فى عموم حديث يامعشر بنى هاشم والذى بعثنى بالحق نبيا لواخذت بحلقة باب الجنة مابدأت الابكم (السادس حديث اذا كان يوم القيمة شفعت لابى وامى وعمى واخ لى كان فى الجاهلية

(السابع حديث ماسألتهما ربى فيعطينى فيهما وانى لقائم يومئذ المقام المحمود (الثامن ان الله تعالى احياهما حتى آمنا بحبيبه صلى الله عليه وسلم كرامة له (فهذه طرق ثمانية كل واحد منها موصل بفضل الله تعالى لدخول الجنة من اى ابوابها الثمانية (وممن نال هذه المنزلة الشريفة الصديق رضى الله عنه كما ورد به الحديث الشريف (وذكر فى المسالك ان الامام الاشعرى نفعنا الله به قال وابو بكر ما زال بعين الرضى منه فاختلف الناس فى مراده بذلك (والصواب ماذهب اليه الشيخ تقى الدين السبكى رحمه الله تعالى ان الصديق رضى الله عنه لم يثبت عنه قبل البعثة سوى التوحيد كما بعد البعثة فلذا خصه الامام بالذكر دون غيره من الصحابة رضى الله عنهم وكذلك نقول فى الابوين الكريمين انهما لم يثبت عنهما قبل البعثة سوى التوحيد مع ان الصديق رضى الله عنه انما حصلت له هذه المزية ببركة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (وكذا زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله تعالى فانهما كانا صديقين له صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وكانا يودانه كثيرا فابواه الكريمان اولى بعود بركته صلى الله عليه وسلم عليهما (قلت وهو فى غاية الحسن (الخاتمة) نسأل الله تعالى حسنها فى مسائل فرائد * منتظمة فى سلك اربع قلائد * (القلادة الاولى فى بيان اول مخلوق ظهر فى الوجود (اعلم انه لما تعلقت ارادة الحق بايجاد خلقه من فضله وكرمه كما سبق فى سابق ارادته وعلمه بمقتضى حديث كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف ابرز النور المحمدى صلى الله عليه وسلم وعظم وشرف ثم اقتبس منه العوالم كلها كبيرها وصغيرها علوها وسفلها فكان صلى الله عليه وسلم هو درة الوجود وينبوع كل موجود وابا الارواح وآخر كل كامل فى الاجسام والاشباح (قال عليه الصلاة والسلام اول ماخلق الله نورى وروى عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قلت يارسول الله بابى انت وامى اخبرنى عن اول شئ

خلقه الله تعالى قبل الاشياء قال صلى الله تعالى عليه وسلم ياجابر ان الله تعالى قد خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله ولم يكن فى ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا ارض ولا شمس ولا قمر ولا جنى ولا انسى فلما اراد الله ان يخلق الخلق قسم ذلك النور اربعة اجزاء فخلق من الجزء الاول القلم ومن الثانى اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول حملة العرش ومن الثانى الكرسى ومن الثالث باقى الملائكة ثم قسم الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول السموات ومن الثانى الارضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول نور ابصار المؤمنين ومن الثانى نور قلوبهم وهى المعرفة بالله ومن الثالث نور انسهم وهو التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله انتهى (ذكره القسطلانى فى المواهب لكن فى شرح الصلاة المشيشية لابن زكرى رحمه الله تعالى تقديم العرش على القلم ولم يذكر كل منهما الرابع من هذا الجزء الاخير فليراجع الحديث (وفيه من حديث عمر رضى الله تعالى عنه ياعمر بن الخطاب اتدرى من انا انا الذى خلق الله عز وجل اول كل شئ نورى فسجد لله فبقى فى سجوده سبعمائة عام فاول كل شئ سجد لله نورى ولا فخر ياعمر اتدرى من انا انا الذى خلق الله العرش من نورى والكرسى من نورى واللوح والقلم من نورى والشمس والقمر من نورى ونور الابصار من نورى والعقل الذى فى رؤس الخلق من نورى ونور المعرفة فى قلوب المؤمنين من نورى ولا فخر انتهى فقد تضمن هذان الحديثان مزايا مختصة بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (منها انه صلى الله عليه وسلم نور وانه من نور الله وان نوره اول حادث ظهر فى الوجود والسبقية والتقديم يفيد ان كمال الاعتناء بشأن السابق والمقدم وانه اول ساجد لله وان السجود اول شئ صدر منه ومن ثمه خرج من بطن امه ساجدا لله تعالى، (ومنها

ان العرش العظيم خلق من نوره وان الكرسى خلق من نوره الى غير ذلك مما لا يقدر قدره ولا يعلم تفصيله الا خالقه تبارك وتعالى قال العلامة الامير الحقيقة المحمدية جوهر من الجواهر لا يعلمها غير خالقها و يدل عليه قوله فجعل ذلك النور يدور فهو صريح فى جوهريته ولا يعلم كيفية تشكله الا الله تعالى على الصحيح وقيل انه متشكل على صورته صلى الله عليه وسلم والادب التوقف انتهى (قلت واما كون تلك الحقيقة لا يعلمها غير خالقها فمما يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام للصديق رضى الله تعالى عنه ياابابكر والذى بعثنى بالحق لم يعلمنى حقيقة غير ربى وقول اويس رضى الله تعالى عنه لاصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مارأيتم من رسول الله الا ظله فقالوا ولا ابن ابى قحافة فقال ولا ابن ابى قحافة انتهى من شرح الصلاة (ولما ذكر هذا عند شيخ لمشايخ استاذنا الشيخ ابى الحسن الشاذلى نفعنا الله به قال صدق اويس حقيقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سر مكنون لا يطلع عليه الا الله تعالى (وقال الامام الخروبى حقيقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سر لطيف من اسرار الحق تعالى لا يطلع عليه سوى الرب جل جلاله ولا يكشفه احد غيره تعالى لا نبى مرسل ولا ملك مقرب فتلك الحقيقة من الاسرار التى انفرد بعلمها تعالى فلذا لم يدرك المؤمنون منه صلى الله عليه وسلم الا ظاهر صورته الشريفة وهو الذى عبر عنه اويس القرنى بالظل اما الذى ادركه الخواص من خفى سره فانما هو على قدر طاقتهم البشرية فاظهر لهم من ذلك فهو نعمة من الله لهم ليعرفوا قدره و يعظموا امره وما خفى عليهم من امره فهو رحمة من الله بهم اذ لو ظهر لهم مع عجزهم عن القيام بحقه لكان فتنة عليهم والله تعالى ارسله رحمة للعالمين فكانت النعمة فيما ظهر والرحمة فيما استتر انتهى (وكما انه لم يدرك احد حقيقته صلى الله عليه وسلم غير ربه تعالى كذلك لم يدرك احد كنه عقله كيف وعقول جميع الناس بالنسبة لعقله كذرة رمل من بين رمال الدنيا (قال وهب بن منبه رحمه الله تعالى

قرأت فى احد وسبعين كتابا فوجدت فى جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدأ الدنيا الى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل من بين رمال الدنيا انتهى من شرح الصلاة (وقال فى شرح المواهب الحقيقة المحمدية هى الذات مع النعت الاول كما فى التوقيف (وفى لطائف الكاشى يشيرون بالحقيقة المحمدية الى الحقيقة المسماة بحقيقة الحقائق الشاملة لها والسارية بكليتها فى كلها سريان الكلى فى جزئياته الى ان قال ولهذا الاعتبار سمى المصطفى بنور الانوار وبابى الارواح ثم انه آخر كل كامل اذ لا يخلق الله تعالى بعده مثله صلى الله عليه وسلم انتهى (قال العلامة الامير فهو اول الاوائل واصل كل حادث واذا كان آدم الاكبر (وقال له آدم عليه السلام ليلة المعراج مرحبا بابن صورتى واب معناى والى ذلك اشار ابن الفارض نفعنا الله به بقوله

* وانى وان كنت ابن آدم صورة * فلى فيه معنى شاهد بابوتى *

فهذه مزية عظمى تقتضى التقدم فى هذا الوجود لكن لما كان فى التأخر مزايا اخر (منها عدم نسخ شريعته (وقد سبق فى علم الله انه نبى آخر الزمان كان وجوده الجسمانى متأخرا ليكون كفصل القضاء وليزداد ترقيه من ابتداء خلقه الى ما لا نهاية له بشهادة قوله تعالى * وللآخرة خير لك من الاولى * وليتحلى فى اطواره الشريفة باسميه تعالى الظاهر والباطن فيزداد شرفه ظاهرا وباطنا شعر

* تخيرك الله من آدم * فمازلت منحدرا ترتقى *

وبالجملة فالحضرة المحمدية اول العالم فيما لايزال وقبلها حضرة الازل المشار اليها بقوله صلى الله عليه وسلم كان الله ولا شىء معه (وروى كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق فبى عرفونى (والمراد اردت تنجيز ما سبق فى علمى حصوله وتحقيق تجلى صفاتى فخلقت الخلق لاظهر لهم سر القدرة والارادة والمغفرة والانتقام والحلم والرحمة الى غير ذلك من صفاته واسمائه تبارك وتعالى وقوله فبى عرفونى اى باظهار آثار تلك الصفات والاسماء عرفوا انه لا سبيل الى معرفة

كنه ذاتى وقد اخذ بعض ارباب الاشارات من هذا الحديث ان الحضرة المحمدية هى اول عارف بربه كما انها اول الخلق وذلك ان عدد فبى من قوله فبى عرفونى هو عدد محمد فكأنه قيل فبمحمد عرفونى وهذا معنى لطيف انتهى بقليل زيادة (قلت وفيه اشعار بانه صلى الله عليه وسلم مرآة تجلى اسرار الذات وانوار الاسماء والصفات وان تلك الحضرة هى المنفذ لكة العظمى لكل سالك والواسطة الكبرى فى كل مطلوب كما قال سيدى ابو المواهب فلا يصل واصل الا الى حضرته المانعة ولا يهتدى حائر الا بانواره اللامعة واما الذات العلية البحت فقد انعقد الاجماع على انها لا تدرك بحال ولذا قيل

* وليست تنال الذات من غير مظهر *

* ولو هلك الانسان من شدة الحرص *

فما عرف الله من عرفه الا من بابه وما وصل احد الى حظه من امر دينى او دنيوى الا بواسطة على جنابه كما قيل

* فانت باب الله اى امرئ * اتاه من غيرك لا يدخل *

لكن كل على حسب قابليته واستعداده ومن الخطأ البين ان يتصور خلاف ذلك (ولنتكلم على بعض ما يتعلق بحديث جابر وعمر رضى الله عنهما فاقول قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره هى قبلية حقيقية كما مر والاضافة الاولى بيانية والثانية لتشريف جابر وقوله من نوره ليست من للتبعيض بل هى للابتداء المعنوى فاندفع الايراد بهذا فيره فلا يقال يلزم عليه ان الحادث بعض القديم والمراد بالنور ذات الله تعالى والاضافة بيانية كذا قالوا وفى النفس منه شىء (واقول الذى ينبغى التعويل عليه فى هذا وامثاله انه من المتشابه فنؤمن به ونفوض حقيقة معرفته الى الله تبارك وتعالى لان الله تعالى اثبته لنفسه فى غير موضع قال جل ثناؤه الله نور السموات الاية وفى الحديث الشريف ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من احصاها دخل الجنة انتهى (ومنها النور

وماذكرناه هى طريقة السلف فى المتشابه كما روى عن على كرم الله
وجهه حين سئل عن الاستواء فاجاب الاستواء معلوم والكيف
مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وتبعه اعيان
أئمة الامة كابى حنيفة ومالك رضى الله عنهما وعن سائر الأئمة
ومعنى الحديث الشريف ان الله تعالى خلق سيدنا محمدا
صلى الله عليه وسلم مبتدأ من غير مادة تكون اصلا له فكان
وجوده بلا توسط شئ بخلاف وجود غيره فانه مستمد منه وهو
اصله فكان عليه الصلاة والسلام اصل الاصول واول
الاوائل (قلت وهذا غاية ماسمعنا هنا فى هذه المسئلة من الكلام
(واما قوله صلى الله عليه وسلم فلما اراد الله ان يخلق الخلق قسم
ذلك النور اجزاء فللعلماء فيه مجال فذهب بعضهم الى ان النور
المحمدى جزأ اجزاء متفرقة فخلق العالم كله من تلك الاجزاء
وانما نسب اليه صلى الله عليه وسلم لان خلق الجميع انما كان
لاجله اولان الجزء الاخير ينتهى لمحمد صلى الله عليه وسلم
ولا ينتقل عنه وذهب آخرون الى انه ليس هناك تقسيم ولا تجزئة
وانما المراد زيد فيه ثم اخذ هذا الزائد فخلق منه ماخلق ثم زيد
فيه واخذ وهكذا ولم يقسم النور الاصلى ولا يخفى مافى هذين
الوجهين (وذهب بعض المحققين كالعلامة الامير الى ان الحقائق
كلها اشرقت من النور المحمدى فظهر ذلك النور مظهر
الاقسام فحصل فى الوجود الحادث نوران مفيض ومفاض عليه
وليس هناك الانور واحد الاترى ان المصباح الواحد يقتبس
منه انوار كثيرة وهو فى نفسه باق على ماهو عليه واحد وقد جزم
بهذا الجواب فى شرح الصلاة حيث قال وهذه القسمة لاتوجب
قسمة الماهية المحمدية كما لا يوجب الاقتباس من الانوار قسمتها
ولا النقص منها انتهى (وقيد صلى الله عليه وسلم العقل بالذى
فى رؤس الخلائق للاحتراز عن العقل المطلق الوارد فى الحديث
فان المراد منه النور المحمدى (كما صرح به سيدى عبد الوهاب

فى اليواقيت حيث قال فان قلت قد ورد اول ماخلق الله نورى
وفى رواية اول ماخلق الله العقل فما الجمع بينهما فالجواب
ان معناهما واحد لان حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم تارة يعبر
عنها بالنور المحمدى وتارة يعبر عنها بالعقل انتهى (فان قلت
قد علمنا ان النور المحمدى اول كل شئ محدث فما تقول فى حديث
عبادة بن الصامت رضى الله عنه مرفوعا اول ماخلق الله
القلم فقال له اكتب قال رب وما اكتب قال اكتب مقادير كل
شئ رواه احمد والترمذى وصححه ورواه ايضا ابوداود عن عبادة
وزاد حتى تقوم الساعة من مات على غير هذا فليس منى
(وفى حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال قلت يارسول الله
انى اذا رأيتك طابت نفسى وقرت عينى انبئنى عن اصل كل شئ
قال صلى الله عليه وسلم كل شئ خلق من الماء رواه احمد والحاكم
وصححاه (وفى حديث السدى ان الله لم يخلق شيأ مما خلق قبل الماء
الكل من مرويات المواهب وشرحها (اقول ذكر العلامة
القسطلانى جوابين (احدهما ان الاولية فى كل بالاضافة الى جنسه
فاول ماخلق الله من الانوار نور محمد صلى الله عليه وسلم وكذا
يقال فى باقيها (الثانى وهو اللائق بالقول ان اولية القلم بالنسبة
الى ماعدى النور المحمدى وكذا الماء و العرش روى احمد
والترمذى وصححه مرفوعا ان الماء خلق قبل العرش (وقد اختلف
هل القلم قبل العرش الاصح وهو مذهب الجمهور ان القلم خلق
بعد العرش لما ثبت فى صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قدر مقادير
الخلق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وكان
عرشه على الماء فهذا صريح فى ان التقدير وقع بعد خلق
العرش وهو عند اول خلق القلم كما مر فى حديث عبادة
ابن الصامت (وصرح فى شرح المواهب معزوا للمشكاة ان الكرسى
متقدم على اللوح و القلم انتهى (بقى الكلام بين اللوح و القلم

ايهما متقدم فى الخلق على الآخر فليراجع (فتلخص مما ذكرناه ان اول مخلوق على الاطلاق هو النور المحمدى ثم الماء ثم العرش ثم الكرسى ثم القلم والله تعالى بالحقيقة اعلم (تنبيه قد تقرر ان النور المحمدى جوهر لاعرض وكل جوهر لابدله من حيز وزمان يكون فيه ينتج ان النور المحمدى لابدله من حيز وزمان يكون فيه (ومن المعلوم ان الحيز سابق فى الوجود على المتحيز (وقد ثبت ان اوليته حقيقية لم يتقدم عليه شئ من الحوادث فالجواب عن هذا الاشكال (اقول انما يرد هذا الاشكال ان فسرنا الزمان والمكان بامرين وجوديين كما هو معلوم فى محله (واما اذا مشينا فى تفسير الزمان على ما اختاره المحقق ابو البقاء من انه عبارة عن امتداد موهوم غير قار الذات وعلى مذهب المتكلمين فى تفسير المكان من انه بعد وامتداد مفروض موهوم يشغله الجسم توهما ولولاه لم يكن هناك الا الخلاء فيكونان حينئذ من باب الاعدام والسلوب ولا فرق فى هذا الامتداد والبعد الموهوم بين ان يكون سابقا على حصول الشئ فيه وبين ان يكون مقارنا له انتهى باختصار من حاشية شيخنا المسماة باساس المرام فى علم الحكمة والكلام فقد انتفى ان يكون كل من الزمان والمكان من الموجودات الخارجية وهو المطلوب فحينئذ لا يضر فرض سابقيتهما وتوهم تقدمهما فى مسألتنا هذه فقد انحل الاشكال وطاح السؤال (ويجوز ان الله تعالى لما اوجد النور المحمدى لم يكن هناك زمان ولا مكان لا حقيقى ولا اعتبارى اصلا على سبيل خرق العادة والله تعالى على كل شئ قدير (وما قررناه من الايراد والجواب يجرى بعينه فى مسئلة العرش العظيم وفى الماء من كل شئ محدث كان قبل حدوث الفلك الاعظم والله تعالى اعلم هذا ولما ابرز الله تعالى ذلك النور وجعله يدور ما شاء الله تعالى ان يدور هيأه لزيادة القرب والوصال فادناه بين يديه بلا كيف دنو يجل عن المثال (روى الحافظ

ابن القطان عن ابن مرزوق عن سيدنا على زين العابدين عن ابيه سيدنا الحسين عن جده سيدنا على رضى الله عنهم ونفعنا بهم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كنت نورا بين يدى ربى قبل خلق آدم باربعة عشر الف عام ذكره فى المواهب فهذه مكانة حصلت بعد ان لم تكن واشار اليها صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث ذكره الزرقانى (قلت ويجوز ان يكون هذا معراجا لروحه الشريفة كما انها نبئت وآدم بين الروح والجسد تأمل (قال العلامة الامير قوله كنت نورا بين يدى ربى اخبار منه عن بعض مشاهد شريفة مختصة بالحقيقة المحمدية التى يعلمها رب البرية (وقال سيدى محمد الزرقانى نفعنا الله به فى شرح المواهب هذا الحديث لا ينافى ما مر من ان نوره مخلوق قبل الاشياء كلها وان الله قدر مقادير الخلق قبل خلق السموات والارض بخمسين الف سنة لانه بعد ما خلق ذلك النور جعل يدور بالقدرة حيث شاء الله ثم كتب فى اللوح ثم جسم على شكل اخصر من ذلك النور ولان فى التعبير بين اليدين اشارة لزيادة القرب فالمقدر بهذه المدة مرتبة اظهرت لم تكن قبل ثم اشار الى مرتبة ثالثة بقوله (وروى محمد بن عمرو العدنى شيخ مسلم فى مسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما ان قريشا اى المسعدة بالاسلام كانت نورا بين يدى الله عزوجل قبل ان يخلق آدم بالفى عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه (قال قال ابن القطان يجتمع من هذا مع ما فى حديث على كرم الله وجهه ان النور المحمدى جسم قبل خلق آدم باثنى عشر الف عام ثم زيد فيه سائر قريش وانطق بالتسبيح فهذا طور آخر حصل للحقيقة المحمدية بعد ان لم يكن انتهى (اقول ويجوز انه صلى الله عليه وسلم عنى بقريش روحه الشريفة اما لانه هو الدرة المستخرجة من تلك القبيلة والمقصود منها فعبر بالكل واراد الجزء مجازا اولانه اصلها فى الحقيقة وابوها ويشيده ان لفظ قريش كان اسما على رجل واحد ما فهر

واما النضر (قال العراقى * اما قريش فالاصح فهر * جماعها والاكثرون النضر * فكما ان احد هذين الرجلين اب لتلك القبيله من حيث الجسمانية فالنبى صلى الله عليه وسلم اب لهما من حيث الروحانية (ومما يقوى ان المراد من لفظ قريش فى الحديث نفسه الشريفة قوله عليه الصلاة والسلام فى تمام الحديث ثم القى ذلك النور فى صلب آدم ثم لم يزل ينقله من الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة وقدم الحديث اول الكتاب (وبقى مرتبتان مشار الى احداهما بالسجود سبعمائه عام اثر خلق النور والاخرى مشار اليها بقوله فجعل ذلك النور يدور فافهم ولله الحمد على ما الهم

(القلادة الثانية فى بيان ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم كان نبيا قبل تمام خلق آدم عليه السلام لا يخفى ان مما تظافرت به الاحاديث الصحيحة ان نبينا صلى الله عليه وسلم هو اول الانبياء روحا كما افصحت به الاخبار الفصيحة وانه لبس خلعة النبوة وآدم بين الروح والجسد فهذه مكانة عظمى لم ينلها من سائر الانبياء احد (روى الامام احمد فى مسنده من طريق بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة الفجر وهو الضبى ومعنى الفجر الكرم رضى الله عنه قال قلت يارسول الله متى كنت نبيا قال وآدم بين الروح والجسد ورواه البخارى فى التاريخ وابو نعيم فى الحلية وصححه الحاكم وقال الحافظ بن رجب فى اللطائف بعضهم يرويه متى كتبت نبيا وكذا رواه اسماعيل ابن نجيد باسناده الى ميسرة قال قلت يارسول الله متى كتبت نبيا قال كتبت نبيا وآدم بين الروح والجسد قال الحافظ بن رجب معناه متى كتبت نبوتك بمعنى ثبتت وحصلت من الكتابة لا من الكون (وعن ابى هريرة رضى الله عنه انهم قالوا يارسول الله متى وجبت لك النبوة قال وادم بين الروح والجسد رواه الترمذى وقال حديث حسن انتهى من المواهب وشرحها (قلت فهذا الحديث مفسر لما قبله فتحمل الكتابة على الوجوب كما قال عز من قائل ياايها

الذين آمنوا كتب عليكم الصيام (وروى ابو نعيم عن الصنابحى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال يارسول الله متى جعلت نبيا قال وآدم بين الروح والجسد ذكره العلامة الزرقانى (فان قلت حقيقة آدم هو الهيكل المخلوق من الطين المنفوخ فيه الروح فمجموعهما هو ادم عليه السلام فما معنى البينية هنا (قلت اجيب بانه مجاز عما قبل تمام خلقه قريبا منه كما يقال فلان بين الصحة والمرض اى فى حالة تقرب منهما (وقال فى النسيم الظاهر انه ظرف زمان بمعنى ان نبوته محكوم بها ظاهرة بين خلق روح آدم وخلق جسده حيث نبأه الله فى علم الارواح واطلعها على ذلك وامرها بمعرفة نبوته والاقرار بها انتهى باختصار (فان قلت ان النبوة اثر قائم بانسان موحى اليه وهذا انما يتم بشرطين (احدهما كون الموحى اليه موجودا فى عالم الملك (والثانى بلوغه اربعين سنة مطلقا فى جميع الانبياء حتى فى يحيى وعيسى عليهما السلام على الصحيح فكيف اتصافه صلى الله عليه وسلم بالنبوة قبل ذلك (قلت اجاب الحافظ العلامة تقى الدين السبكى رحمه الله تعالى بما ملخصه ان المحل الذى قامت به النبوة هو روحه الشريفة واما كونه موجودا فى عالم الملك وكونه بعد اربعين سنة فذلك فى النبوة المتعلقة بالجسد مع ارتباط الروح به فافاضة النبوة على روحه صلى الله عليه وسلم ووصفها بها امر حقيق واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا الحديث (وقد جاء ان الله تعالى خلق الارواح قبل الاجسام والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها وانما يعلمها خالقها ومن امده الله بنور الهى ثم ان تلك الحقائق قد يمن الله تعالى على كل حقيقة منها بما يشاء فى الوقت الذى يشاء فحقيقة النبى صلى الله عليه وسلم (آتاه الله وصف النبوة قبل تمام خلق آدم وافاضه عليها من ذلك الوقت فحقيقته سابقة على خلق آدم وحصول النبوة قبل تمام خلقه فصار نبيا وكتب اسمه على العرش واخبر الله

فى عالم الارواح
لمصححه

عنه بذلك ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده فهو بنى من ذلك الوقت وان تأخر جسمه الشريف المتصف بها (وقد كان عليه الصلاة والسلام من ذلك الزمن متصفا بالصفات العلية المفاضة عليه من الحضرة الالهية الى ان ظهر جسمه الشريف ثم بعث وامر بالتبليغ عند الاربعين فهذا هو المتأخر (والحاصل ان كل ماكان له صلى الله عليه وسلم من جهة ربه ومن جهة تأهل ذاته الشريفة معجلا لايمكن تأخره (وقد علم مماقررناه ان من فسر قوله عليه الصلاة والسلام كنت نبيا وامثاله بعلم الله تعالى انه سيصير نبيا لم يصل الى ماقلناه لان علم الله محيط بجميع الاشياء ووصف النبي صلى الله عليه وسلم بالنبوة من ذلك الوقت (ينبغى ان يفهم منه انه امر ثابت له لامحالة من تلك المدة ولوكان المراد بذلك مجردا العلم بماسيصير فى المستقبل لم تكن له صلى الله عليه وسلم خصوصية بانه بنى وآدم بين الروح والجسد لان جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام يعلم الله تعالى نبوتهم فى ذلك الوقت وقبله فلابد من خصوصية للنبى صلى الله عليه وسلم ولاجلها اخبر بهذا الخبر اعلاما لامته حتى يعرفوا قدره عند الله تعالى انتهى (وفى اللطائف وهذه الصفة التى هى النبوة الثابتة مرتبة ثالثة وهى انتقاله صلى الله عليه وسلم من مرتبة العلم والكتابة الى مرتبة الوجود العينى الخارجى (قال الزرقانى قال شيخنا فافادان نبوته مقدرة فى العلم اولا ثم تعلقت بها الكتابة ثم تعلق بها الابراز والايجاد للملائكة فى الوجود العينى وقضية مامر من ابراز حقيقته قبل سائر الموجودات ان المراتب اربع تعلق العلم بانه يصير نبيا ثم خلق نوره ثم كتبه فى ام الكتاب ثم اظهاره نبيا للملائكة انتهى (ويقول الضعيف قد حررنا فى القلادة الاولى ان المراتب المختصة به اربع الاولى ابراز نوره قبل سائر المحدثات المشار اليها بحديث جابر رضى الله عنه (الثانية سجوده بعد خلق نوره مقدار سبعمائة عام وهى المشار اليه بحديث عمر

رضى الله عنه (الثالثة دورانه بالقدرة الالهية حيث شاء الله (الرابعة المشار اليها بحديث على كرم الله وجهه انه كان نورا بين يدى ربه وقد سبق ذلك كله (الخامسة المشار اليها بحديث ابن عباس رضى الله عنهما ان قريشا كانت نورا الحديث (وحررناهناك ان المراد من قريش نفسه الشريفة وابدناه بمالا مزيد عليه فهذه مراتب خاصة به صلى الله عليه وسلم السادسة استنباؤه فى الوجود العينى الخارجى ليعلم اهل الملكوت شرفه وقدره وهذه ايضا خاصة به صلى الله عليه وسلم (واما تعلق العلم بانه سيصير نبيا وكتبه فى ام الكتاب فهذا غير مختص به كما لايخفى بخلاف اللاتى ذكرناها فانها مختصة به صلى الله عليه وسلم لايشاركه فيها غيره من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين (قال الامام سيدى الشيخ محيى الدين ابن العربى نفعنا الله به لم يبلغنا ان احدا اعطى النبوة وآدم بين الماء والطين غير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام انما كانوا انبياء ايام رسالتهم المحسوسة ذكره فى اليواقيت واقره (تنبيه قداهمل اكثر العلماء تعريف النبوة والرسالة وانما اعتنوا بتعريف النبى والرسول وقد عرفها امام الحرمين رحمه الله تعالى بانها صفة كلامية هى قول الله تعالى هو رسولى وتصديقه بالامر الخارق انتهى (وقال الامام الغزالى رحمه الله تعالى ونفعنا به النبوة عبارة عما يختص به النبى ويفارق به غيره وهو يختص بانواع (احدها انه يعرف حقائق الامور المتعلقة بالله تعالى وبصفاته وملائكته والدار الاخرة علما مخالفا لعلم غيره بكثرة المعلومات وزيادة الكشف والتحقيق (ثانيها ان له فى نفسه صفة بها تتم الافعال الخارقة للعادة كما ان لنا صفة تتم بها الحركات المقرونة بارادتنا وهى القدرة (ثالثها ان له صفة بها يبصر الملائكة ويشاهدهم كما ان للبصير صفة بها يفارق الاعمى (رابعها ان له صفة بها يدرك ماسيكون فى الغيب انتهى الكل من شرح المواهب (وفيه

عن الشعبى قال رجل يارسول الله متى استنبئت قال وآدم بين الروح والجسد حين اخذ منى الميثاق (فان قلت ان استخراج ذرية آدم منه كان بعد نفخ الروح فيه كما دل عليه اكثر الاحاديث (وقال مجاهد وغيره فى تفسير قوله تعالى * ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس * الآية من ان المراد اخراج ذرية آدم من ظهره قبل امر الملائكة له بالسجود (قال فى اللطائف وهذا يدل بظاهره على انه كان بعد نفخ الروح والذى تقرر هنا انه استخرج ونبئ واخذ منه الميثاق قبل نفخ الروح فى آدم (قلت هذه خصوصية المصطفى صلى الله عليه وسلم لانه هو المقصود من خلق النوع الانسانى وهو عينه وخلاصته وواسطة عقده والاحاديث السابقة كلها صريحة فى ذلك انتهى وبه يحصل الجمع بين الاحاديث (وفيه ان الله تعالى لما اكمل خلق نبيه بافاضة الكمالات والنبوة على نوره امره ان ينظر الى انوار الانبياء عليهم الصلاة والسلام فغشيهم من نوره ما انطقهم الله به فقالوا يا ربنا من غشينا نوره فقال الله تعالى هذا نور محمد بن عبد الله ان آمنتم به جعلتكم انبياء قالوا آمنا به وبنبوته فقال الله تعالى اشهد عليكم قالوا نعم فذلك قوله تعالى *واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه* الى قوله وانا معكم من الشاهدين والاخذ على النبيين واممهم واكتفى بذكر الانبياء لان العهد على المتبوع عهد على التابع (ويرشحه مارواه ابن جرير وابن كثير عن على ابن ابى طالب رضى الله عنه انه قال لم يبعث الله نبيا من ادم فمن بعده الا اخذ عليه العهد فى محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه والمراد ممن بعده الى عيسى عليه السلام ان قلنا بالمشهور انه ليس بينه وبين المصطفى صلى الله عليه وسلم نبى او الى خالد بن سنان على القول بانه بعد عيسى عليه السلام (ومارويناه عن على كرم الله وجهه مروى

عن ابن عباس ايضا كما ذكره الحافظ ابن كثير فى تفسيره (وروى ابن عساكر والبغوى نحوه ورواه الزركشى والحافظ فى الفتح رحمهم الله تعالى (قال الامام الحافظ تقى الدين السبكى عطر الله مضجعه فى هذه الآية الشريفة من التنويه بالنبى صلى الله عليه وسلم وتعظيم قدره العلى مالا يخفى وفيها مع ذلك انه على تقدير مجيئه فى زمانهم يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من آدم الى يوم القيمة ويكون الانبياء واممهم كلهم من امته مع بقاء الانبياء على نبوتهم ويكون قوله صلى الله عليه وسلم فى اثناء حديث رواه الشيخان وبعثت الى الناس كافة قومى وغيرهم من العرب والعجم والاسود والاحمر لايختص به الناس من زمنه صلى الله عليه وسلم الى يوم القيمة بل يتناول من قبلهم ايضا (قال العلامة الزرقانى وفى حديث مسلم بعثت الى الخلق كافة وهو يتناول الجن اجماعا والملائكة على ارجح القولين ومشى عليه ابن حزم والبارزى والسبكى وغيرهم (قال الشيخ تقى الدين وبهذا تبين معنى قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد ثم قال فاذا عرف هذا فالنبى صلى الله عليه وسلم نبى الانبياء فجميع الانبياء نواب عنه بشرائعهم وماجاؤا به من الشرائع هو شرعة لاولئك القوم ولهذا ظهر فى الآخرة جميع الانبياء تحت لوائه كما قال صلى الله عليه وسلم فى حديث انس عند احمد وبيدى لواء الحمد آدم فمن دونه تحت لوائى (وفى شرح المواهب انه معنوى ومعناه انفراده بالحمد يوم القيمة وشهرته به على رؤس الخلائق وذهب آخرون انه حقيقى وعند الله علم حقيقته وعلى كل فعنده تنتهى جميع المقامات (ولما كان المصطفى احمد الخلق فى الدارين اعطيه ليأوى اليه الاولون والاخرون ولذا قال آدم فمن دونه الحديث (قال الامام السبكى ولو اتفق مجيئه فى زمن آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم اوجب عليهم وعلى اممهم نصرته والايمان به وبذلك اخذ الله عليهم الميثاق

انتهى واورد على الشيخ بان الجمهور على ان المراد بالكافة ناس زمنه فمن بعدهم الى يوم القيمة (قال الزرقانى ودفعه شيخنا بأن هذا لا ينافى كلام الجمهور الا اذا اريد التبليغ بالفعل اما اذا اريد بالبعث اتصافه صلى الله عليه وسلم بكونهم مأمورين بتبعيته اذا وجد كما هو صريح كلامه فلا يخالفه واحد فضلا عن الجمهور واورد ايضا على قوله ولو اتفق مجيئه فى زمن الرسل وجب عليهم الايمان به بأن الامر على خلافه قال تعالى * ان اتبع ملة ابراهيم * وان الانبياء غير مكلفين باحكام شرعه والالم يكونوا اصحاب شرع واجاب عنه العلامة الزرقانى بأن هذا تعسف لا يخفى فان قوله ذلك من جملة مدخول لوفى قوله ولو اتفق مجيئه كما هو مصرح به فى رسالته ومن اقوى التعسف قوله المستدرك انهم غير مكلفين باحكام شرعه فان الشيخ لم يدع تكليفهم به بل الذى ادعاه ان شرائعهم على تقدير وجوده فى زمانهم شرع له فيهم فاعتبروا يا اولى الابصار انتهى (قلت وقد نقل الحافظ السيوطى خلاصة ما جنح اليه السبكى فى المقامة السندسية واقره وذكره العلامة القسطلانى فى المواهب ومال اليه واعتمده العلامة الزرقانى فى شرحها وعزاه الى الامام البارزى فى توثيق عرى الايمان وصرح به الشيخ سيدى محيي الدين فى الفتوحات ومشى عليه سيدى على الخواص وايده الشيخ السيدى عبد الوهاب الشعرانى فى اليواقيت نفعنا الله بهم اجمعين وخلاصة ما فيها ان نبينا صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الخلق كافة حتى الملائكة بل الى الحيوانات والجمادات كلها من شجر وحجر كما جنح اليه البارزى واقره الجلال السيوطى فى الخصائص وانه نبى الانبياء فهو كالسلطان الاعظم ولو ادركه جميع الانبياء لوجب عليهم اتباعه اذ هو مبعوث الى جميع الخلق من لدن آدم الى قيام الساعة فكان الانبياء كلهم نوابه مدة غيبة جسمه الشريف وكان كل نبى يبعث بطائفة من شرعه عليه الصلاة والسلام لا يتعداها ولو كان موجودا بجسمه الشريف

من لدن آدم لكان جميع بنى آدم تحت شريعته حسا ولهذا لم يبعث نبى الى الناس عامة الا هو صلى الله عليه وسلم فجميع شرائع الانبياء هى فى الحقيقة شرعه فكان نبى الانبياء للعهد الذى اخذ عليهم (ولذا قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر واطال الشيخ الكلام فى هذا المقام وايده وقواه بما لا مزيد عليه من النصوص والشواهد (منها قوله تعالى * اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده (المعنى ان هداهم هو هداك الذى سرى اليهم فى الباطن فاذا اهتديت بهداهم فانما ذاك اهتداء بهداك اذ الاولية لك باطنا والآخرية لك ظاهرا (ولو ان المراد بهداهم غير ما قررناه لقيل له فبهم اقتده (ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا لما وسعه الا ان يتبعنى (وقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما الا اتباعى ورشحه انه اذا نزل عيسى عليه السلام لم يحكم بشرع نفسه الذى كان عليه قبل رفعه وانما يحكم بشرع محمد صلى الله عليه وسلم الذى بعث به الى امته ولو ان الشرع الذى يحكم به عيسى كان له بالاصالة لما كان يحكم اذا نزل الى الارض الا به (ومنها حديث وضع الله تعالى يده بين ثديى كما يليق بجلاله فعلمت علم الاولين والآخرين اذ المراد بالاولين هم الانبياء الذين تقدموا فى الظهور على جسمه الشريف (فان قلت نسخ شريعته لكل شريعة تقدمت مخرج لتلك الشرائع عن كونها شرعا له (قلت ان ذلك النسخ لا يخرجها عن كونها شريعة له الا ترى ان الله تعالى قد اشهدنا النسخ فى شرعه الظاهر فهذا لا نزاع فيه بل وقع الاجماع والاتفاق على انه شرعه الذى نزل عليه ونسخ المتقدم بالمتأخر انتهى والله اعلم (القلادة الثالثة فيما جاء انه لاجله صلى الله عليه وسلم كان ما كان (اخرج فى المواهب اللدنية وشرحها انه لما خرج آدم عليه السلام من الجنة رأى مكتوبا على ساق العرش وعلى كل موضع فى الجنة اسم محمد صلى الله عليه وسلم مقرونا باسم الله تعالى فقال

آدم يارب هذا محمد من هو فقال الله تعالى هذا ولدك الذى لولاه ما خلقتك فقال يارب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد فنودى يا آدم لو تشفعت الينا بمحمد فى اهل السموات والارض لشفعناك وروى ابن عساكر عن كعب الاحبار ان اسم محمد مكتوب على كل موضع فى الجنة من قصر وغرفة وحور عين وورق شجرة طوبى وورق سدرة المنتهى واطراف الحجب وبين اعين الملائكة (وعن ثانى الخلفاء سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب اسألك بحق محمد الا ما غفرت لى فقال الله تعالى يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم اخلقه قال يارب لانك لما خلقتنى بيدك ونفخت فى من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا احب الخلق اليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم انه لاحب الخلق الى واذ سألتنى بحقه قد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك رواه البيهقى والطبرانى والحاكم وصححه (وروى الامام العلامة المحدث سيف الدين الشهير بابن طغربك بطاء وراء مهملتين مضمومتين بينهما غين معجمة ساكنة بعدهما موحدة مفتوحة فى مولده الشريف انه لما خلق الله تعالى آدم الهمه ان قال يارب لم كنيتنى ابا محمد قال الله تعالى يا آدم ارفع رأسك فرفع رأسه فرأى نور محمد فى سرادق العرش فقال يارب ما هذا النور قال هذا نور نبى من ذريتك اسمه فى السماء احمد وفى الارض محمد لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماء ولا ارضا قال العلامة القسطلانى فى المواهب ويشهد لهذا ما رواه الحاكم فى صحيحه عن عمر رضى الله تعالى عنه مرفوعا ان آدم عليه السلام رأى اسم محمد مكتوبا على العرش وان الله تعالى قال لآدم لولا محمد ما خلقتك وروى ابو الشيخ والحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما اوحى الله الى عيسى

عليه السلام آمن بمحمد وامر امتك ان يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن صححه الحاكم واقره السبكى والبلقينى ومثله لا يقال رأيا فحكمه الرفع (واخرج الديلمى عن ابن عباس رفعه اتانى جبريل فقال ان الله يقول لولاك ما خلقت الجنة ولولاك ما خلقت النار (واخرج ابن سبع والعزفى بمهملة وزاى مفتوحتين بعدهما فاء عن على كرم الله وجهه ان الله قال لنبيه من اجلك اسطح البطحاء واموج الموج وارفع السماء واجعل الثواب والعقاب (وروى ابن عساكر والحاكم وصححه عن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال هبط جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال له ان ربك يقول لك ان كنت اتخذت ابراهيم خليلا فقد اتخذتك حبيبا وما خلقت خلقا اكرم على منك ولقد خلقت الدنيا واهلها لاعرفهم كرامتك ومنزلتك عندى ولولاك ما خلقت الدنيا انتهى (قلت وجميع ما ذكرناه مما اختص الله تعالى به المصطفى صلى الله عليه وسلم اذ لم يثبت لغيره من نبى مرسل ولا ملك مقرب (تنبيه قد انعقد الاجماع على ان افعال الله تعالى ليست معللة بالاغراض فكيف يكون ايجاد المصطفى صلى الله عليه وسلم علة فى ايجاد آدم وغيره (واجاب الافاضل بان ما ورد من الادلة ما ظاهره ذلك مؤول بالمصالح والمنافع للعباد المترتبة على افعاله تعالى لا بواعث على الاقدام وليست عللا مقتضية لفاعلية بحيث يلزم من وجودها كونه فاعلا لان ذلك محال فى حقه تعالى لما فيه من الكمال بالغير تعالى عن ذلك علوا كبيرا ويشهد لذلك قوله تبارك وتعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون المعنى خلقتهم وفرضت عليهم العبادة مقارنة لخلقهم ولا يلزم من فرضها قيام الجميع بها فلا يرد ان كثيرا لا يعبدون او يقال انه من قبيل العام الذى اريد به الخصوص

كما نص عليه فى المواهب وشرحها فحينئذ التعليل لفظى لاحقيقى لان الله تعالى غنى عن المنافع فلا يكون فعله لمنفعة عائدة عليه سبحانه كما قال جل وعلا ان الله لغنى عن العالمين (هذا وفى المواهب وشرحها ان الله تعالى لما خلق حواء من ضلع آدم القصرى من شقه الايسر بعد دخوله الجنة كما قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة رضى الله تعالى عنهم كان نائما فلما انتبه مد يده اليها فقالت الملائكة مه مه يا آدم قال ولم وقد خلقها الله لى فقالوا حتى تؤدى مهرها قال وما مهرها قالوا تصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات (وذكر ابن الجوزى رحمه الله تعالى ان آدم لما رام القرب منها طلبت منه المهر فقال يارب وماذا اعطيها قال يا آدم صل على حبيبى محمد بن عبد الله عشرين مرة انتهى ولله در قول الشاعر صالح بن حسين رحمه الله تعالى مضمنا خبر قبول توبة آدم عليه السلام حين توسل بالمصطفى صلى الله عليه وسلم فى قصيدة له حتى قيل انه لم يسمع مثلها لاحد فى عصره وهى هذه

* وكان لدى الفردوس فى زمن الرضى *
* واثواب شمل الانس محكمة السدى *
* يشاهد فى عدن ضيأ مشعشعا *
* يزيد على الانوار فى الضوء والهدا *
* فقال الهى ما الضياء الذى ارى *
* جنود السما تعشو اليه ترددا *
* فقال نبى خير من وطئ الثرى *
* وافضل من فى الخير راح او اغتدى *
* تخيرته من قبل خلقك سيدا *
* والبسته قبل النبيين سؤددا *
* واعددته يوم القيمة شافعا *
* مطاعا اذا ما الغير حاد وحيدا *
* فيشفع فى انقاذ كل موحد *

* ويدخله جنات عدن مخلدا *
* وان له اسماء سميته بها *
* ولكننى احببت منها محمدا *
* فقال الهى امنن على بتوبة *
* تكون على غسل الخطيئة مسعدا *
* بحرمة هذا الاسم والزلفة التى *
* خصصت بها دون الخليقة احمدا *
* اقلنى عثارى يا الهى فان لى *
* عدوا لعينا جار فى القصد واعتدا *
* فتاب عليه ربه وحماه من *
* جناية ما اخطاه لا متعمدا انتهى *

(اقول هذه القصيدة الشريفة ليست قاصرة على افادة قبول التوبة بل هى متضمنة لجل ما ذكرناه فى هذه الخاتمة المنيفة (نسأل الله تعالى حسنها (القلادة الرابعة فيما جاء فى اصل طينة المصطفى صلى الله عليه وسلم (روى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان اصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الارض بمكة انتهى (قال العلامة الزرقانى نفعنا الله به فى شرح المواهب وهذا حكمه الرفع اذ لا يقال رأيا قال وقال بعض العلماء هذا يشعر بان ما اجاب من الارض او لا الا درة المصطفى صلى الله عليه وسلم ومن موضع الكعبة دحيت الارض ومدت فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاصل فى التكوين والكائنات تبع له واليه الاشارة بقوله وآدم بين الروح والجسد انتهى (اقول هذه الاصالة المذكورة هنا بالنسبة الى الجسم الشريف وقدم لك فى القلادة الاولى اسبقية خلق نوره قبل كل مخلوق فكان صلى الله عليه وسلم اصلا لسائر الخلق حسا ومعنى (وذكر ابن عباس رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم سمى اميا لان طينته الشريفة من مكة وهى ام القرى

فكانت درته ام الخليقة (وقد ذكر بعض المفسرين انه لما خاطب الله السموات والارض بقوله ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين كان المجيب اولا من الارض موضع الكعبة ومن السماء ما يحاذيها ووافقهما على الجواب البقية (وروى الامام العارف الربانى عبد الله بن ابى جمرة نفعنا الله به فى بهجة النفوس والامام ابو الربيع ابن سبع فى شفاء الصدور وابو سعيد فى شرف المصطفى وابن الجوزى فى الوفاء رحمهم الله تعالى عن كعب الاحبار التابعى الجليل اخذ عنه العبادلة الاربعة وابو هريرة وانس رضى الله تعالى عنهم وهو من رواية الاكابر عن الاصاغر قال لما اراد الله تعالى ان يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم امر جبريل ان يأتيه بالطينة التى هى قلب الارض وبهاؤها وحسنها ونورها قال فهبط جبريل فى ملائكة الفردوس وملائكة الرقيع الاعلى والرقيع براء مهملة وقاف السماء السابعة كما فى شرح المواهب (قال كعب الاحبار رضى الله عنه فقبض جبريل قبضة رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع قبره الشريف وهى بيضاء منيرة فعجنت بماء التسنيم وهو ارفع شراب الجنة فى معين انهار الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء لها شعاع عظيم ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسى وفى السموات والارض والجبال والبحار فعرفت الملائكة وجميع الخلق سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وفضله قبل ان تعرف آدم عليه السلام انتهى (قال العلامة الزرقانى نفعنا الله به وهذا لا يقال من قبل الرأى فهو اما عن المصطفى بواسطة فكان مرسلا واما عن الكتب السالفة اذ ليس كلما ينقل عنها مردودا او ضعيفا كيف والناقل حبرها (قال ابن قتيبة وغيره كعب الاحبار معناه كعب العلماء وملجأهم فقول البعض بضعفه لاحتمال انه من الكتب القديمة غير مقبول لان الضعف انما هو من جهة السند لانه المرقاة كما هو معلوم لدى اهل الفن انتهى (تنبيه

لا يخفى ان يدفن كل انسان فى البقعة التى منها طينته فعلى ما روينا عن كعب الاحبار فلا اشكال لكن على ما روينا عن ابن عباس كان ينبغى ان يكون قبره صلى الله عليه وسلم بمكة حيث كانت جوهرته الشريفة منها وهو مشكل واجاب عنه علامة الظاهر والباطن صاحب عوارف المعارف الامام السهروردى افاض الله علينا من عوارفه وتعطف علينا بعواطفه ناقلا عمن قبله من الافاضل بان الماء الذى كان عليه العرش لما تموج رمى الزبد الى النواحى فوقعت جوهرة النبى صلى الله عليه وسلم الى ما يحاذى تربته بالمدينة فكان صلى الله عليه وسلم مكيا مدنيا انتهى (فقد حصل التوفيق بين الخبرين وزال الاشكال (وتوضيحه كما قال بعض الافاضل انه حين اراد الله تعالى ابراز سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هبط جبريل عليه السلام فى ملائكة الفردوس والرقيع الاعلى فقبض طينته من محل قبره الشريف واصلها من مكة انتهى الكل من المواهب وشرحها ببعض توضيح واختصار (فائدتان الاولى ما ذكره العلامة الزرقانى فى الشرح المذكور ان الامام سيدى عمر السهروردى قد اخذ عن مشايخ من اهل الظاهر والباطن منهم العارف الكبير سيدى الشيخ عبد القادر الكيلانى نفعنا الله به حتى بلغ مبلغا عظيما فى العلمين ووصل الى الله تعالى به خلق كثير واقبل عليه من الخلق الجم الغفير حتى ان كانت محفته لتحمل على اعناق الرجال من العراق الى البيت الحرام ورأى من الجاه عند الملوك ما لم يره احد ولما حج اخر حجاته ورأى ازدحام الناس عليه فى المطاف واقتداءهم باقواله وافعاله قال فى سره يا ترى انا عند الله كما يظن هؤلاء فكاشفه قدوة العاشقين سيدى عمر بن الفارض نفعنا الله به وخاطبه بقوله

لك البشارة فاخلع ما عليك فقد

ذكرت ثم على ما فيك من عوج

فصرخ السهروردى وخلع ما عليه والقاه فخلع المشايخ والفقراء ما عليهم والقوه فبلغ اربعمائة خلعة انتهى (الثانية

ماذكره المحقق العلامة السيد محمد بن عابدين فى حاشية الدر المختار معزيا للتاج الفاكهى ان الارض افضل من السموات لحلوله صلى الله عليه وسلم بها بل عزى هذا القول الى اكثر العلماء لخلق الانبياء عليهم الصلاة والسلام منها ودفنهم فيها (قال الامام النووى نفعنا الله به فعلى تفضيل السماء على الارض كما ذهب اليه الكثير ينبغى ان يستثنى من ذلك مواضع ضم اعضاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام للجمع بين اقوال العلماء انتهى (قلت وعلى كل فالاجماع على ان ماضم تلك الاعضاء الشريفة افضل من السموات (قال المحقق وقد نقل القاضى عياض وغيره الاجماع على تفضيل القبر الشريف حتى على الكعبة المشرفة (قال العلامة ابن عقيل الحنبلى ان تلك البقعة افضل من العرش وقد وافقه على ذلك السادة البكريون انتهى (ثم لاشك فى انه صلى الله عليه وسلم حى فى قبره كحياته فى الدنيا حياة اكمل من حياة الشهداء التى اخبر الله بها فى كتابه العزيز على انه صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء واعمال الشهداء فى ميزانه صلى الله عليه وسلم وكذا سائر الانبياء عليهم السلام احياء فى قبورهم يصلون ويحجون وبذلك وردت الاحاديث الصحيحة وخرجها الثقات كالبيهقى والحاكم وابن حبان وابن عدى والبزار وابن ماجه وغيرهم زاد ابن ماجه فنبى الله حى يرزق ذكره العلامة الشريف السمهودى المدنى نفعنا الله به فى خلاصة الوفا وتكون لهم القدرة والافعال الاختيارية كصوم واكل وشرب ويثابون على ذلك من غير تكليف بل تكرمة ورفع درجات ذكره العلامة عبد السلام الداغستانى المدنى فى آخر ماعلقه على الشمائل معزيا للشمس الرملى قال ومن ثم قال الامام السبكى حياة الانبياء كحياتهم فى الدنيا ويشهد له صلاة موسى فى قبره وان الصلاة تستدعى جسدا حيا انتهى (بل قال الشيخ عبد السلام المذكور معزيا لبعض الافاضل

ان الانبياء والشهداء مأذون لهم فى الخروج من قبورهم والتصرف فى الملكوت العلوى والسفلى كما فى سير الحلبى (اقول وقد من الله تعالى بهذه المزايا على بعض خواص الامة كالسيد احمد البدوى والسيد احمد الرفاعى والسيد الجيلانى نفعنا الله بهم وقد طفحت بذلك الاخبار فكن من ذوى الابصار (ومما يناسب مانحن فيه ماتواتر واشتهر ان القطب الشهير سيدى احمد الرفاعى قدس سره لما اتى الى زيارة النبى صلى الله عليه وسلم ووقف تجاه القبر الشريف انشأ فقال

❋ فى حالة البعد روحى كنت ارسلها ❋

❋ تقبل الارض عنى وهى نائبتى ❋

❋ فهذه دولة الاشباح قد حضرت ❋

❋ فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى ❋

فمد المصطفى يده الشريفة اليه فحظى بتقبيلها (ومنه تلقيناه عن المشايخ وذكره العلامة العارف الفاسى فى تأليفه كشرحه على حصن الحصين ان ولى الله تعالى الشهير بابن الجلى اصابته مخمصة وكان اذ ذاك فى المسجد النبوى فشكى امره الى الله والى رسوله ثم غشى عليه من شدة الجوع فرأى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ناوله رغيفا كاملا فاكل نصفه ثم استيقظ والنصف الاخر بيده ثم لم يحتج الى طعام وشراب بعد ذلك طول عمره الى ان مات انتهى (وهذا غير ابن جلى القائل انا ابن جلى وطلاع الثنايا ❋ وروى ابن النجار عن كعب الاحبار مامن فجر يطلع الا نزل سبعون الفا من الملائكة حتى يحفون بالقبر الشريف يضربون باجنحتهم ويصلون على النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى اذا انشقت الارض خرج صلى الله عليه وسلم فى سبعين الفا من الملائكة (وروى الدارمى فى صحيحه من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها نحوه ذكر ذلك الشريف السمهودى المدنى فى وفاء الوفاء ونقل العلامة السيد احمد جمل الليل المدنى فى ذخيرته عن العلامة

محمد بن سليمان الكردى المدنى عن روض الخرائد للعلامة الرسموكى عن الشيخ سيدى محمد بن على العياش الرحمان المدنى رحمهم الله تعالى ان ملكا موكلا بقبر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يبلغ صلاة وسلام امته من مشارق الارض ومغاربها واسمه صلصائيل (فينبغى للزائر ان يسلم عليه وعلى الملائكة الحافين بالقبر الشريف بعد زيارة الشيخين رضى الله تعالى عنهما (قال واما الشباك الذى يزعم عنده سائر الناس جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم السلام فهو بدعة لا اصل له انتهى (وفى الخلاصة ان التبليغ اذا كان المسلم غائبا اما اذا كان حاضرا فلا كما وردت بذلك الاخبار (وقد ذكر الحافظ ابن تيمية ان الشهداء بل كل مؤمن اذا زارهم وسلم عليهم عرفوه وردوا عليه السلام (فاذا كان هذا فى آحاد المؤمنين فكيف بسيد المرسلين فهو صلى الله عليه وسلم يسمع من يسلم عليه عند قبره الشريف ويرد عليه السلام عالما بحضوره وكفى به فضلا حقيقيا بأن ينفق فيه ملك الدنيا ليتوصل اليه آه (وفيها معزوا للدر النظيم انه صلى الله عليه وسلم لما مات بقى فى امته رحمة لهم قال فانه سأل الله تعالى ان يكون بين امته الى يوم القيمة انتهى (اقول وانما اختار صلى الله عليه وسلم ذلك اوفو رشفقته وتمام رحمته بأمته فكيف بجيرانه ولا يعزب عنك ما مر فى المقدمة ولا غرابة فى ذلك بعد ان قال فى حقه عز من قائل وانك لعلى خلق عظيم (وأما خلقه الجميل الفخيم فقد رويناه عن الامام الترمذى من كتابه الشمائل (قال حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمان العجلى املاء علينا من كتابه قال اخبرنى رجل من بنى تميم من ولد ابى هالة زوج خديجة يكنى بابى عبد الله عن ابن لابى هالة عن الحسن بن على رضى الله تعالى عنهم سألت خالى هند بن ابى هالة وكان وصافا عن حلية النبى صلى الله عليه وسلم وانا اشتهى ان يصف لى منها شيأ اتعلق به فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه

تلألأ القمر ليلة البدر اطول من المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر ان انفرقت عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره ازهر اللون واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ فى غير قرن بينهما عرق يدره الغضب اقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله اشم كث اللحية سهل الخدين ضليع الفم مفلج الاسنان دقيق المسربة كان عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة معتدل الخلق بادن متماسك سواء البطن والصدر عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس انور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجرى كالخط عارى الثديين والبطن مما سوى ذلك اشعر الذراعين والمنكبين واعالى الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين سائل الاطراف اوشائل الاطراف خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء اذا زال زال قلعا يخطو تكفيا ويمشى هونا ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه يبدأ من لقيه بالسلام (وبسنده عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم افلج الثنيتين اذا تكلم رئى كالنور يخرج من بين ثناياه انتهى هذا وفيما اوردناه كفاية لما اردناه من ايراد هذه الخاتمة ومقنع لكل ذى بال كان يرأى من الحق ومسمع ولنتمثل بشعر العارف الكبير سيدى على ابى الوفا الشارب من بحر الصفا بالكأس الاوفى حيث قال

* سكن الفؤاد فعش هنيئا يا جسد *

* ذاك النعيم هو المقيم الى الابد *

* اصبحت فى كنف الحبيب ومن يكن *

* جار الكريم فعيشه العيش الرغد *

❋ عش فى امان الله تحت لوائه ❋
❋ لاخوف فى هذا الجناب ولانكد ❋
❋ لا تخشين فقرا وعندك بيت من ❋
❋ كل الممالك من اياديه مدد ❋
❋ رب الجمال ومرسل الجدوى ومن ❋
❋ هو فى المحاسن كلها فرد احد ❋
❋ قطب النهى غوث العوالم كلها ❋
❋ اعلى على سار احمد من حمد ❋
❋ روح الوجود حياة من هو واجد ❋
❋ لولاه ما تم الوجود لمن وجد ❋
❋ عيسى وآدم والصدور جميعهم ❋
❋ هم اعين هو نورها لما ورد ❋
❋ لو ابصر الشيطان طلعة نوره ❋
❋ فى وجه آدم كان اول من سجد ❋
❋ اولو رأى النمرود نور جماله ❋
❋ عبد الجليل مع الخليل وما عند ❋
❋ لكن جمال الله جل فلا يرى ❋
❋ الا بتخصيص من الله الصمد ❋
❋ فابشر بمن سكن الجوانح منك يا ❋
❋ انا قد ملئت من الثنا عيناويد ❋
❋ عين الوفا معنى الصفا سرالندى ❋
نور الهدى روح النهى جسد الرشد ❋
❋ هو للصلاة من السلام المرتضى ❋
❋ الجامع المخصوص مادام الابد ❋
انتهى (ويقول العبد المسكين متمثلا بقول صاحب البردة عطر الله
❋مضجعه ونور مرقده ❋ فان لى ذمة منه بتسميتى ❋

* محمدا وهو اوفى الخلق بالذمم *

* ويقول الاخر *

اذا لم نطب فى طيبة عند طيب * به طيبة طابت فاين نطيب
اذا لم يجب فى حبه ربنا الدعا * ففى اى حى للدعاء يجيب

(واسأل الله تعالى ان يمنحنى حسن هذا الجوار متصلا بصحبته صلى الله عليه وسلم فى دار القرار وان يحفظ لنا الايمان حتى نلقاه به على اسر حال آمنين وينظمنا فى سلك من دعواهم فى الجنة سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين بجاه الفاتح الخاتم معلم كل عالم صلى الله تعالى عليه وعلى آله الفائز من احبهم بالهداية الى سبل السلام وعلى اصحابه البررة الكرام نجوم الهدى الى دار السلام وكان الفراغ من هذا التأليف المبارك ان شاء الله تعالى فى ليلة الاثنين المباركة لاحدى وعشرين مضين من شهر رمضان المبارك سنة خمس وثمانين ومائتين والف من هجرة من له كمال العز ونهاية الشرف

صلى الله عليه وسلم والحمد لله اولا وآخرا

قد طبع هذا الكتاب فى المطبعة العامرة السلطانية بنفقة جناب محمد كامل اغا رئيس بوابى حضرة افخر ذوات الفخر فى هذا العصر رفيعة الشان والدة السلطان الاعظم على نية ان يكون هذا الكتاب هدايا للمسلمين مجانا رجاء الثواب من الملك الوهاب نفع الله تعالى به الجميع
آمين

تم طبعه فى ١١ من جا من سنه ١٢٨٧

Süleymaniye U. Kütüphanesi
Kısmı | Nafiz Paşa
Yeni Kayıt |
Eski Kayıt No | 789